

سلسلة الإصدارات العلمية للدورات
المقامة عبر مواقع التواصل الاجتماعي

شرح كتاب التوحيد

في سؤال وجواب

لفضيلة الشيخ صالح عبدالعزيز آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد

الجزء الأول

إصدار
المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد
وتوعية الجاليات بالمدينة المنورة
مكتب الشرق



بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعدُ:

فإن الاهتمام بالعلم: والرّغبة فيه، والحرص والإقبال عليه، دليل صحة القلوب؛ لأن القلب إذا صحَّ لنفسه، وعرف ما ينفعُه فإنه سيحرِص على العلم؛ ذلك لأن الله جل جلاله مدح أهل العلم، ورفعهم على غيرهم درجات، قال سبحانه ﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وقال جل وعلا: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[الزمر:٩]، فعدم استواء من يعلم مع من لا يعلم، هذا إنما يذكره ويعيه أهل الألباب؛ (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا ٱلْأَلْبَابِ).

وأما الجاهل: فهو لا يعرف أنه جاهل، ويقنع بالجهالة، ثم هو لا يعلم معنى العلم وأهمية العلم، وأنَّ العلم هو الشرف الأعظم في هذه الحياة.

ولهذا قال العلماء: مِن دلائل أهمية العلم أن الله جل جلاله ما أمر نبيه ﷺ أن يدعُوَ بالازدياد من شيء إلا من العلم، فقال سبحانه لنبيه ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:١١٤]، وكفى بذلك شرفا.

والعلم يشترك كثيرون في الاهتمام به: لكنهم لا يستوون في أخذه، ولا في طريقة تحصيله.

فهُم في هذا على طبقات:

فمنهم المتعجِّل: الذي يظن أن العلم يُحصَّل في أسابيع، أو في أشهر، أو في سنين معدودة، وهذا بعيد عن الصواب؛ لأن العلم لا ينتهِي حتى يموت المرء، ويبقى من العلم أشياء كثيرة لم يعلمها، فإن العلم واسع الأطراف والجنبات، والله جل وعلا هو ذو العلم الكامل، وأعطى البشر بمجموعهم بعض علمه، فهذا يفوت عليه شيء من العلم، وذاك يفوت عليه شيء من

العلم؛ ولكن بمجموعهم لو جُمع علمهم لكان شيئا قليلا جدا من علم الله، كما تضع الإبرة في البحر ثم تخرجها لم تُنقِص من ماء البحر شيئا.

وإذا كان كذلك: فإن رَوْمَ العلم لا يمكن أن يكون بإطلاق؛ بل ينبغي لطالب العلم أن يكون متدرجا فيه؛ والتدرج سُنة لا بد منها، فهي سنة النبي ﷺ، وسنة أصحابه، وهي سنة أهل العلم من بعدهم؛ فالنبي ﷺ ما علّم الصحابةَ العلم جملة واحدة، وإنما علَّمهم في سنين عددا، في مكة علمهم أصل الأصول، الذي به سلامة القلب والعقل وصحتهما، ألا وهو توحيد الله جل جلاله، والبراءة من كل ما سوىٰ الرب جل وعلا، ثم بعد ذلك أتىٰ العلم شيئا فشيئا لصحابة رسول الله ﷺ، وكلٌّ أخذ من العلم بقدر ما يُسِّر له وقُدّر له.

هكذا أهل العلم من بعد الصحابة: لا تجد أنَّ أولئك خاضوا العلم خوضا واحدا، فمنهم من برّز في العربية، ومنهم من برّز في علم الأصول، ومنهم من برّز في التفسير، ومنهم من برّز في الحديث، ومنهم من برّز في علوم الآلة الأخرىٰ كالمصطلح ونحوه، ومنهم من برّز في الفقه، وهكذا في علوم شتىٰ، **وقد كانت وصية ابن شهاب الزهري، التي لابد أن نحفظها، حيث قال:** (مَن رَام العِلم جملة، ذهب عنه جملة، إنما يُطلب العلم علىٰ مر الأيام والليالي)، فالمتعجلون لا يحصلّون العلم، فلا بد -إذن- من التدرُّج.

ومنهم المتذوِّق: أهل التذوق في أخذ العلم؛ يأتي ويطلب علما ما مدة قليلة، ثم يأتي ويحكم علىٰ هذا العلم، أو يحكم علىٰ من يُعلّم ذاك العلم، وأيضا ينتقل إلىٰ آخر، ثم يحكم علىٰ ذلك العلم الآخر، وعلىٰ من يُعلّم ذلك العلم الآخر، وهذا دليل نقصٍ في العلم، ونقصٍ في الإدراك والعقل؛ لأن العلوم لا يَحكُم عليها إلا مَن حواها من جميع جنباتها، وأحاط من ورائها، وهذا لا يتأتىٰ لأكثر الذين يتذوقون؛ فتجد أنه في مدة من الزمن أشهر أو سنة حضر عند فلان من



أهل العلم، أو مِن المعلِّمين من طلبة العلم، فحكم على نفسه، أو على ذلك المُعلِّم بأنه كذا وكذا، ثم انتقل إلى غيره.

ثم في النهاية: تجد أن هذا النوع ييأس، ولا يحصّل علما كثيرا؛ ذلك لأنه تعجَّل، وكان متذوقا في العلم، والتذوق بمعنى كثرة التنقل، والأخذ من هذا بشيء والأخذ من ذاك بشيء، فهذا لا يكون المرء به عالما، ولا طالب علم، وإنما كما قال الأولون يكون (أديبا)؛ لأنهم عرّفوا الأدب بأنه: (الأخذ من كل علم بطرف)، وهذا مما لا ينبغي أن يُسلك، يعني: أن يكون طالب العلم الذي أراد صحة العلم، وصحة السلوك فيه، لا يصلح أن يكون متذوقا.

وتأصيل العلم وطلبه أمره عزيزٌ جدا: بأن تحفظ كما حفظ الأولون.

انظر إن كنت معتبرا: لكتب التراجم، حيث ترجم أولئك المصنفون لأهل العلم؛ في ترجمة إمام من الأئمة، أو حافظٍ من الحفاظ، تجد أنهم يذكرون في أوائل ترجمته أنه قرأ الكتاب الفلاني من الكتب القصيرة من المتون المختصرة، وقرأ الكتاب الفلاني، وحفِظ كذا، وحفظ كذا، يذكرون هذا ويجعلونه منقبة لأولئك؟ لأن حفظ تلك المتون، وقراءة تلك المختصرات هي طريقة العلم في الواقع، وهذه سُنة العلماء، ومَن تركها فقد ترك سنة العلماء في العلم والتعليم، منذ تشعَّب العلم بعد القرن الرابع الهجري، ولهذا فينبغي لك أن تكون حريصا على التأني في طلب العلم، وأن تُحكِم ما تسمع وما تقرأ شيئاً فشيئا.

ومن المهمات أيضا: ألاّ تُدخل عقلك إلا صورة صحيحة من العلم، فلا تهتمَّ بكثرة المعلومات، بقدر ما تهتم بأنْ لا يدخل العقل إلا صورة صحيحة للعلم، إذا أردت أن تتناولها تناولتها بالاحتجاج أو الذكر أو الاستفادة، تناولتها تناولا صحيحا، أما إذا كنت تُدخل في عقلك مسائل كثيرة، وإذا أتى النقاش لحظت من نفسك أنَّ هذه المسألة فهمتها على غير وجهها،

والثانية فهمتها علىٰ غير وجهها، بأن كان لها قيدٌ لم تهتم به، ولها ضوابط ما اعتنيت بها، فتكون الصور في الذهن كثيرة، وتكون المسائل كثيرة؛ لكن غير منضبطة، وليس ذلك بالعلم.

إنما العلم: أن تكون الصورة في الذهن للمسألة العلمية منضبطة؛ من جهة (صورة المسألة)، ومن جهة (الحكم عليها)، ومن جهة (الدليل)، ومن جهة (وجه الاستدلال).

فهذه الأربع تهتم بها جدا:

الأولى: صورة المسألة. **الثانية:** حكم المسألة. **الثالثة:** دليلها، بمعرفة دليل مَن قال كذا وكذا. **الرابعة:** وجه الاستدلال. بأن تعرف عندما استدل فلان بدليل، كيف أعمل عقله فيه فاستنبط منه الحكم؟.

فإذا عوّدت ذهنك على هذه الأربع: سِرت مسيرا جيّدا في فهم العلم، والذي يحيط باللغة العربية، ويهتم بألفاظ أهل العلم؛ وصل؛ لأنَّ من لم يهتمّ بألفاظ أهل العلم، وبلغة العلم، لم يدرك مرادهم من كلامهم.



الأسئلة والأجوبة على الدروس

❁ ما أهمية دراسة كتاب التوحيد لطالب العلم؟ وما طريقة شيخ الإسلام رحمه الله في تصنيفه؟، وما وجه الشبه بينه وبين صحيح البخاري ؟

- كتاب التوحيد كتاب عظيم جدّا أجمع علماء التوحيد على أنه لم يُصَنَّف في الإسلام في موضوعه مثلُه، فهو كتاب وحيد و فريد في بابه، ولهذا فإن طالب العلم لا يستغني ألبتّة عن هذا الكتاب، من جهة معرفته بمعانيه؛ لأنّه مشتمل على الآي والحديث.
- طَرَقَ فيه مؤلفه رحمه الله مسائلَ توحيد العبادة، وما يُضادّ ذلك التوحيد؛ إمّا من أصله، وإمّا يُضادّ كماله، وعلى هذا النحو والتفصيل الذي ساق به الشيخ رحمه الله تلك المسائل والأبواب، لم يُوجد كتاب على نحو سياقته مجموعًا.
- شبّه بعض العلماء هذا الكتاب بأنه (قطعة من صحيح البخاري)، وهذا ظاهر في أنّ الشيخ رحمه الله جعل هذا الكتاب ككتاب البخاري؛ من جهة أن الترجمة فيها آية وحديث، والحديث دال على الترجمة، والآية دالة على الترجمة، وما بعدها مُفسّر لها، وما ساق من كلام أهل العلم؛ من الصحابة، أو من التابعين، أو من كلام أئمة الإسلام، في بيان المعاني.

❁ متى صنف شيخ الإسلام (كتاب التوحيد)؟ وما كان الداعي إلى تصنيفه؟.

صَنَّفه إمام الدعوة ابتداءً في البصرة لما رحل إليها.

وكان الداعي إلى تأليفه: ما رأى من شيوع الشرك بالله جل جلاله، ومن افتقاد التوحيد الحق في المسلمين، فرأى مظاهر الشرك الأكبر، والأصغر والخفي فابتدأ في جمع هذا

الكتاب، وتحرير الدلائل لمسائله، ذكر ذلك تلميذه وحفيده الشيخ الإمـام عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في المقامات، ثم حرره الشيخ رحمه الله وأكمله لمـا قدم نجدا.

❀ ما أهمية هذا الكتاب بالنسبة لدعوة التوحيد؟ وما أهم ما ورد فيه؟

- صار هذا الكتاب كتاب دعوة، فهو يمثل الدعوة إلى التوحيد؛ لأن الشيخ رحمه الله بيَّن فيه أصول دلائل التوحيد، وبيَّن فيه معنى التوحيد وفضله، وبيَّن ما يضاده، وأهمية الخوف والحذر مما يضاده.
- ولهذا يعظم أن تعتني به كطالب علم، عناية حفظ، ودرس، وتأمُّل؛ لأنك أينما كنت فأنت محتاج إليه؛ في نفسك، أو في تبليغ العلم لمن وراءك، سواء كان ذلك في البيت، أم كان في المسجد، أم كان في العمل، أم في أي جهة، فمن فهم هذا الكتاب، فهم أكثر مسائل توحيد العبادة، بل فهم جُلّها وأغلبها.
- بيَّن فيه كذلك أفراد توحيد العبادة، وأفراد توحيد الأسماء والصفات إجمالا، وبيَّن الشرك الأكبر وصورا من الشرك الأكبر، وبيَّن الشرك الأصغر وصورا من الشرك الأصغر، وبيَّن الوسائل، وبيَّن حماية التوحيد ومـا يكون به، وبيَّن أيضا شيئا من أفراد توحيد الربوبية.

❀ ما هي الطريقة المتبعة في شرحنا هذا على كتاب التوحيد؟

فيه ذكر للفوائد التي كثيراً مـا تلتبس على طلبة العلم.

وفيه بيان مناسبة الآي والأحاديث للترجمة.

وفيه بيان وجه الاستدلال من الآية، أو من الحديث على المقصود.

وفيه ذكر شيء من تقرير الحِجَاجِ مع الخصوم في هذه المسائل، ربما بما لا يطالعه الكثير في الشروح.



وهذه الطريقة التي سنسلكها؛ طريقة مختصرة، سنأتي بها على الكتاب كلّه، مع عدم الإخلال بإفهامه، وعدم الإخـلال بمعانيه.

❁ ما السر في أن الشيخ رحمه الله لم يضع كتابه كعادة المصنّفين والمؤلّفين، بأن يضعوا بعد البسملة والحمدلة خطبة للكتاب، يذكرون فيها طريقتهم في تصنيفه، ومرادهم من تأليفه؟.

السّر في ذلك فيما يظهر والله أعلم: أنّ التوحيد الذي سيبيّنه الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب هو توحيد الله جلّ جلاله، وتوحيد الله بيَّنه الله جلّ وعلا في القرآن، فكان من الأدب في مقام التوحيد ألاّ يجعل فاصلا بين الحق والدّال على الحق، وكلام الدّال عليه؛ فالحق الذي لله هو التوحيد، والذي دلّ على هذا الحق هو الله جل جلاله، والدليل عليه هو كلامه وكلام رسوله ﷺ، وهذا من لطائف أثر التوحيد على القلب.

كما صَنَع البخاريُّ رحمه الله في صحيحه؛ إذْ لم يجعل لصحيحه خطبة، بل جعل صحيحه مبتدءاً بالحديث، ذلك أن كتابه كتاب سنّة، ومن المعلوم أن الأدب ألاّ يُتقدم بين يدي الله ورسوله ﷺ، فلم يقدم كلامه على كلام رسوله ﷺ، وهذا من لطيف المعاني التي يرعاها من نوّر الله قلوبهم لمعرفة حقه، وحق رسوله ﷺ.

❁ ما أصل (التوحيد) في اللغة والاصطلاح؟ وما هي أقسامه أو أنواعه؟

التوحيد في اللغة: وحّد، يوحّد، توحيداً، ووحّد الشيء إذا جعله واحداً.

تقول: وحّدْتُ المتكلم، إذا جعلتَه واحداً، ووحّد المسلمون اللهَ؛ إذا جعلوا المعبود واحداً وهو الله جل وعلا.

التوحيد في الاصطلاح: جاء لفظ (التوحيد) في الشرع بقلة، وقد جاء في السنة الدعوة إلى توحيد الله؛ كما في صحيح البخاريّ: أن النبي ﷺ لّما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن



قال: «إنّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ إلى أن يوحِّدوا الله»، و (يوحَّدوا) مصدره التّوحيد.

وفي الرواية الأخرى من حديث ابن عباس: الذي فيه قصةُ بعثِ معاذٍ إلى اليمن، وهي في الصحيحين قال: «فَلْيَكُنْ أَوّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لا إلهَ إلاّ الله وأن محمدا رَسُولُ الله»، فدلّ على أن التّوحيد هو شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتحقيق هاتين الشهادتين هو تحقيق التوحيد.

والتوحيد المطلوب: يشمل ما أمر الله جل وعلا في الكتاب من توحيده.

وهو ثلاثة أنواع:

الأول: توحيد الربوبية.

والثاني: توحيد الألوهية.

والثالث: توحيد الأسماء والصفات.

فتوحيد الربوبية: معناه توحيد الله بأفعاله، وأفعال الله كثيرة.

منها: الخلق، والرَّزق، والإحياء، والإماتة، وتدبير الملك، والنفع، والضَّر، والشفاء، والإجارة؛ فهو سبحانه يجير ولا يجار عليه، وإجابة دعوة المضطر، وإجابة دعوة الداعي، ونحو ذلك من أفراد الربوبية، فالمتفرد بذلك على الكمال هو الله جل وعلا، فتوحيد الربوبية هو: (توحيد الله سبحانه بأفعاله).

وتوحيد الألوهية: مأخوذ من ألَهَ، يَأْلَهُ، إِلهة، وأُلوهة، إذا عَبَدَ مع المحبة والتعظيم. يُقال: تألّه، إذا عبد معظِّما محباً.

فتوحيد الإلـهية، أو توحيد الألوهية هو توحيد العبادة، وهو توحيد الله بأفعال العبد؛ وأفعالك التي تفعلها كعبد تقرباً تكون متنوعة، فإذا توجّهت بها لواحد- وهو الله جلّ وعلا- كنت موحّدا توحيد الإلهية، وإذا توجهت بها لله ولغيره، كان مشركا في هذه العبادة.

وتوحيد الأسماء والصفات: ومعناه أن يعتقد العبد أن الله جلّ جلاله واحد في أسمائه وصفاته، لا يُماثل له فيهما، وإن شَارك بعضُ العباد اللهَ جل وعلا في أصل بعض الصفات؛ لكنهم لا يَشْرَكونه جل وعلا في كمال المعنى؛ بل الكمال فيها لله وحده دون من سواه.

فمثلا: المخلوق قد يكون عزيزاً، والله جل جلاله هو العزيز؛ فللمخلوق من صفة العِزّة ما يناسب ذاته الحقيرة الوضيعة، الفقيرة، ولله جلّ وعلا من هذه الصفة الكمال والمنته، ليس له فيها مثيل، وليس له فيها مشابه على الوجه التام؛ قال جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[الشورى:١١].

❁ ما معنى أَلَهَ في لغة العرب؟ وما الفرق بين العبادة والألوهة؟

ومعنى أَلَهَ في لغة العرب: عَبَدَ مع المحبة والتعظيم، والتألُّه العبادة على ذاك النحو.

وهناك فرقٌ بين العبادة والألوهة: فإنّ الألوهة: عبادة فيها المحبة والتعظيم والرضى بالحال، والرجاء والرَغَب والرَهَب، فمصدرها: أَلَه، يأله، ألوهة، وإلهة.

ولهذا قيل توحيد الإلهية: وقيل توحيد الألوهية، وهما مصدران لـ: أَلَهَ يَأْلَهُ.

❁ لماذا لم يبسط شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه (التوحيد) الكلام عن توحيد الربوبية والأسماء والصفات؟، وما هي طريقته في التصنيف عموماً؟

لمّا كانت التصانيف قبله رحمه الله قد اعتنىٰ فيها علماء السنة والعقيدة ببيان توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات؛ لم يبسط الشيخ رحمه الله القول فيهما، وإنما بسط القول فيما الناس بحاجة إليه، ويفتقدون التصنيف فيه.

وهذه طريقة الإمام رحمه الله في التصنيف بصفة عامة: فإن كتاباته المختلفة ومؤلفاته إنما كانت للحاجة، وليست للاستكثار، أو التفنن، وإنما كَتَبَ فيما الناس بحاجة إليه.

❁ اشتمل كتاب (التوحيد) على بيان التوحيد، وأفراده وأقسامه، وما يضاده كذلك من الشرك؟ فما هو الشرك لغة واصطلاحاً؟

الشّرك في اللغة: هو اتخاذ الشريك؛ يعني أن يجعل واحدا شريكا لآخر، يقال أشْرك بينهما، إذا جعلهما اثنين، أو أشرك في أمره غيرَه إذا جعل ذلك الأمر لاثنين، فالشرك فيه تشريك.

والشرك في اصطلاح أهل العلم: هو اتخاذ الشريك مع الله جل وعلا في الربوبية، أو في العبادة، أو في الأسماء والصفات.

والمقصود هنا: النهي عن اتخاذ الشريك مع الله جل وعلا في العبادة، والأمر بتوحيده سبحانه، فالله جل وعلا نهىٰ عن الشرك في العبادة كما سيأتي بيانه.

❁ ما أنواع الشرك وأقسامه عند أهل العلم؟

الشرك في اصطلاح أهل العلم: يُقسم إلى قسمين باعتبار، و يُقسم إلى ثلاثة باعتبار آخر.

فالشرك يقسم باعتبار إلى: شرك أكبر وشرك أصغر.

و يُقسم أيضا باعتبار آخر إلى: شرك أكبر وشرك أصغر وشرك خفي.



التقسيم الأول: أن يكون الشرك أكبر و أصغر.

•فالأكبر: هو المخرج من الملة.

•والأصغر: ما حَكَم الشارعُ عليه بأنه شرك، وليس فيه تنديد كامل يُلحقه بالشرك الأكبر، وعبَّر عنه بعض العلماء بقوله: ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر.

والشرك الأكبر منه ما هو ظاهر، ومنه ما هو باطن خفي:

فالظاهر من الشرك الأكبر: كشرك عُبَّاد الأوثان، والأصنام، وعُبَّاد القبور، والأموات، والغائبين.

والباطن: كشرك المتوكّلين على المشايخ، أو على الآلهة المختلفة، أو كشرك وكفر المنافقين؛ لأن المنافقين مُشركون في الباطن، فشركهم خفي، ولكنه أكبر، وفي الباطن وليس في الظاهر.

والشرك الأصغر كذلك: منه ما هو ظاهر، ومنه ما هو باطن خفي:

فالظاهر من الشرك الأصغر: كلُبس الحلقة والخيط، وكالتمائم، وكالحلَف بغير الله، ونحو ذلك من الأعمال والأقوال.

والباطن من ذلك الخفي: كيسير الرياء ونحو ذلك.

فيكون الرياء على هذا التقسيم:

•منه ما هو أكبر كرياء المنافقين ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَّ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء:١٤٢].

•ومنه رياء المسلمين: كمن يتصنّع في صلاته، أو يحبّ التسميع أو المراءة.

التقسيم الثاني للشرك أن يكون ثلاثة أقسام:

أكبر، وأصغر، وخفي، وهذا التقسيم يعني به أن:

•الأكبر: ما هو مخرج من الملّة، مما فيه صرّفُ العبادة لغير الله جلّ جلاله.



• والأصغر: ما كان وسيلة لذلك الشرك الأكبر، فيه تنديد لا يبلغ به من ندَّد أن يخرج من الإسلام، وقد حَكم الشارع على فاعله بالشرك، أو حقيقة الحال أنه ندد وأشرك.

• الشرك الخفي: هو يسير الرياء ونحو ذلك في هذا التقسيم.

ومن أهل العلم من يقول بالأول، ومنهم من يقول بالثاني، وهما متقابلان، ومتساويان؛ أحدهما يوافق الآخر، وليس بينهما اختلاف:

فإذا سمعتَ من يقول: إن الشرك أكبر وأصغر، فهذا صحيح.

وإذا سمعتَ -وهو قول أئمة الدعوة-: إن الشرك أكبر وأصغر وخفي، فهذا أيضا صحيح.

❁ ما الألفاظ الشرعية الأخرى المعبرة عن معنى الشرك؟

الشرك يُعبَّر عنه بالتنديد، ولهذا قال جل وعلا: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة:٢٢].

وقال النبي ﷺ حينما سئل أيُّ الذنب أعظم، قال: «أَنْ تَجْعَلَ لله نِدّا وَهُوَ خَلَقَكَ».

فالتنديد: منه تنديد أعظم، ومنه تنديد ليس فيه صرف العبادة لغير الله.

فإذا كان التنديد في جعل العبادة لغير الله، صار التنديد أكبر، وصار شركا أكبر.

وإذا كان التنديد فيه جعل غير الله جل وعلا نِدًّا لله في عمل، ولا يبلغ ذلك الشرك الأكبر، فإنّه يكون تنديد أصغر، وهو الشرك الأصغر.



كتاب التوحيد وقول الله تعالى:
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]

❁ في قول المصنف رحمه الله (كتاب التوحيد، وقول الله تعالى)، (قول) هذه: هل هي على العطف، أم على الاستئناف؟

•إما على العطف؛ (كتابُ التوحيدِ، وقولِ الله)، يعني: وكتابُ قولِ الله.

•أو على الاستئناف؛ يعني: (وقولُ الله تعالى).

❁ ما وجه مناسبة الآية ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ للباب؟، وما دليل ذلك؟

هذه الآية فيها بيان التوحيد؛ ووجه ذلك أنَّ السلف رحمهم الله فسّروا (إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) بمعنى: إلاَّ ليوحّدونِ.

ودليل هذا الفهم: أنّ الرسل إنّما بُعثت لأجل توحيد العبادة، فقوله: (إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) يعني: إلاَّ ليوحدونِ.

❁ في قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أسلوب بلاغي، فما هو؟ وما دلالته في الآية الكريمة؟

قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) فيه حصر وقصر، ومعلوم أن (مَا) النافية مع (إلاَّ) تفيد الحصر والقصر. **وقوله تعالى**: (إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)، (إِلَّا) هذه أداة استثناء مُفرَّغ من أعم الأحوال -كما يقول النحّاة- يعني: وما خلقت الجن والإنس لشيء، أو لغاية من الغايات أبدا، إلاّ لغاية واحدة، وهي أن يعبدونِ.

وقوله تعالى: (لِيَعۡبُدُونِ) اللام هذه تسمّى لام التعليل؛ وقد يكون المعنى تعليل غاية، أو تعليل علّة؛ ففي تعليل الغاية يكون ما بعدها مطلوبا؛ لكن قد تتحقق هذه الغاية وقد لا تتحقق، ويسميها بعض العلماء لام الحكمة، فهنا اللام هذه لام علة الغاية؛ لأن مِن الخلق من وُجد وخلقه الله جل وعلا، لكن عبَدَ غيره، ولام الحكمة شرعية؛ ما بعدها يكون مطلوبا شرعا.

ومعنى الكلام: خَلقتُ الجن والإنس لغاية واحدة هي العبادة دون ما سواها، ففيه قصر علّة الخلق على العبادة.

ودلالة هذه الآية: من جهة: أنّ الغاية من الخلق هو التوحيد، والعبادة هنا هي التوحيد، وحقيقة العبادة هي الخضوع والذل، فإذا انضافت إليها المحبة والانقياد، صارت عبادة شرعية، ومن جهة أخرى: أنَّ كلَّ فرد من أفراد العبادة يجب أن يكون لله وحده دون ما سواه؛ لأنّ الذي خلقهم، خلقهم لأجل أن يعبدوه، فكونهم يعبدون غيره، وهو الذي خلقهم هذا من الاعتداء والظلم.

❁ ما معنى العبادة؟، وما تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لها؟

العبادة في الشرع: هي امتثال الأمر والنهي على جهة المحبة والرجاء والخوف.

وهي عند الأصوليين: ما أُمر به من غير اقتضاء عقلي، اطراد عُرفي، وهذا تعريف الأصوليين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان معناها: هي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

❁ ما علاقة قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[النحل:٣٦]) بالآية قبلها؟ وما دلالتها؟، وما معنى الطاغوت في الآية؟

هذه الآية تفسير للآية التي قبلها، فإن الآية التي قبلها فيها بيان معنى العبادة والغرض من الخلق، وأنه لأجل هذه الغاية أُرسلت الرسل، بدليل قوله تعالىٰ: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ).

ودلالتها على التوحيد: أن في قوله: (اُعْبُدُوا اللَّهَ) إثبات، وفي قوله (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) نفي، وهذا هو معنىٰ التوحيد، فهو مشتمل علىٰ إثبات ونفي، (لا إلـه إلا الله).

والطاغوت: فَعَلُوت من الطغيان، وهو كل ما جاوز به العبد حدَّه من متبوع أو معبود أو مطاع، وهو كل إلـه عُبد بالبَغي والظلم والعدوان.

❁ ما معنى القضاء في قوله تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾؟ وما وجه الدلالة على التوحيد في الآية؟

(قَضَى) في الآية كما **فسّرها عدد من الصحابة**: بمعنىٰ أمر و وصَّىٰ، و أمر و وصَّىٰ فيهما معنىٰ القول دون حروف القول، فتكون (أَلَّا تَعْبُدُوا)؛ (أَنْ) هنا تفسيرية، يعني أمر و وصَّىٰ بأن لا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا..

ودِلالة الآية على التوحيد: ظاهرة في قوله تعالىٰ: **(أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ)**: فهذا هو معنىٰ (لا إلـه إلا الله) بالمطابقة؛ يعني: أُحصروا العبادة فيه وحده دون ما سواه، أمر سبحانه بهذا ووصَّىٰ به.

❁ في قوله تعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أمرٌ ونهي، وإثباتٌ ونفي، بيِّن ذلك؟

أمّا الأمر: ففي قوله تعالىٰ: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ)، **وأما النهي**: ففي قوله تعالىٰ: (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا).

وقد مرّ معنا دِلالة قوله: (اعْبُدُوا اللَّهَ) مع النفي، علىٰ توحيد الله.

❁ ما الدلالة في قوله تعالى: (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) على معنى التوحيد ونفي الشرك؟

في قوله تعالى: (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)، (لاَ) نافية، ومن المتقرّر في علم الأصول، أنَّ النفي إذا تسلَّط على نكرة فإنه يفيد العموم، و(لاَ) هنا بعدها نكرة، وهو المصدر المُستكِن في الفعل المضارع المشتمل على مصدر وزمن، فقوله: (لَا تُشْرِكُوا) يعني: لا إشراكًا به، فـ (تُشْرِكُوا) متضمنة لمصدر، والمصدر نكرة، فيكون قوله (لَا تُشْرِكُوا) يعني: بأي نوع من الشرك، و(شَيْئًا) أيضا هنا نكرة في سياق النفي، (لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)، فدلّت على عموم الأشياء، وهذا استدلال ظاهر في الدلالة على التوحيد بالجمع بين النفي والإثبات.

❁ في قوله تعالى: (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) عمومان، فما هما؟

• الأول: دلَّت الآية على النهي عن جميع أنواع الشرك، وذلك لأن النهي تسلّط على الفعل، والفعل فيه مصدر مُستكِنّ، والمصدر نكرة.

• والثاني: أنَّ مفعول (تُشْرِكُ)؛ (شَيْئًا)، و(شَيْئًا) نكرة، والنكرة جاءت في سياق النهي، وذلك يدل على عموم الأشياء، يعني لا الشرك الأصغر مأذونا به، ولا الأكبر، ولا الخفي، لِدلالة قوله (لَا تُشْرِكُوا بِهِ)، وكذلك ليس مأذونا أن يُشرك لا بمَلَك، ولا بنبيّ، ولا بصالح، ولا بعالِم، ولا بطالح، ولا بقريب، ولا ببعيد، بدلالة قوله (شَيْئًا)، وهذا استدلال ظاهر الوضوح في الدلالة على التوحيد.



❁ ما تقدير الكلام في قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام] وما بعدها، وما دلالتها على معنى التوحيد؟ وهل الوصية من الله واجبة أم مستحبة؟

قوله تعالى: (قُلْ تَعَالَوْا) يعني: يا مَن حرَّم بعض الأنعام، وافترى على الله في ذلك (تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا).

قال العلماء: (أن) هنا تفسيرية متعلقة بمحذوف تقديره (وصاكم)؛ لأن (أن) التفسيرية تتعلق بكلمة فيها معنى القول دون حروف القول، وحددوها بقوله تعالى (وَصَّاكُم) لأنه في آخر الآي جاء (ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَعْقِلُونَ) في الآية الأولى، ثم (لَعَلَّكُم تَذَكَّرُون) في الآية الثانية، ثم (لَعَلَّكُم تَتَّقُون) في الآية الثالثة، كلها فيها الوصية. **فيكون تقدير الكلام:** قل تعالوا أتلو ما حرم ربكم عليكم، وصَّاكم ألا تشركوا به شيئا.

وقوله تعالى: (أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) دلالته على التوحيد كدلالة آية النساء قبله.

والوصية هنا شرعية: وإذا كانت الوصية من الله شرعية، فهي أمر واجب.

❁ ما معنى قول ابن مسعود رضي الله عنه (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه)؟ وما دلالته على التوحيد؟

قول ابن مسعود رضي الله عنه: (التي عليها خاتمه)، يعني: التي كانت من آخر ما وصّى به، وأمر به، فلو قُدِّر أنه ﷺ وصّى، وختم على هذه الوصية، وفُتحت بعد وفاته، وانتقاله إلى الرفيق الأعلى، لكانت هذه الآيات التي فيها الوصايا العشر.

وهذا من ابن مسعود رضي الله عنه: للدِّلالة على عِظم شأن هذه الآيات، التي افتتحت بالنهي عن الشرك، والنبي صلى الله عليه وسلم ابتدأ دعوته بالأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن



الشرك، واختتمها بذلك أيضا -كما دل عليه كلام ابن مسعود هذا- بالأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك؛ فدل على أن ذلك، أولى المطالب، وأول المطالب، وأهم المطالب.

❁ **ما الشاهد في حديث مُعَاذِ بْنِ جَبَل رضي الله عنه** «كُنْتُ رِديفَ النبي ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ لِي: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقّ اللهّ عَلَى الْعِبَادِ وما حقّ العبادِ على الله؟ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «حَقّ اللهّ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا، وَحَقّ الْعِبَادِ عَلَى اللهّ أَنْ لاَ يُعَذّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا»

❁ **وما مناسبته للابتداء به في كتاب التوحيد؟، وهل لفظ (الحق) في الحديث يفيد الوجوب في الحالتين؟**

موطن الشاهد في الحديث هو قوله ﷺ: (حَقّ اللهّ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا) وهذا قد مرَّ بيان معناه؛ لكن الشاهد من هذا الحديث.

ومناسبة للابتداء به في كتاب التوحيد: أنه أتى فيه بلفظ (حَقّ)، (أَتَدْرِي مَا حَقّ اللهّ عَلَى الْعِبَادِ؟) ثم قال: (قَالَ: «حَقّ اللهّ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوه وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا»)، فهذا الحق؛ هو حق واجب لله جل وعلا؛ لأن الكتاب والسنة دلَّا عليه؛ بل ولأن المرسلين جميعا أتوا بهذا الحق وببيانه، وأنه أوجب الواجبات على العباد.

ثم قال: (وَحَقّ الْعِبَادِ عَلَى اللهّ أَنْ لاَ يُعَذّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا)، هذا حق أحقَّه الله على نفسه، باتفاق أهل العلم، وبإيجابه على نفسه في بعض أقوالهم، كما قاله الشيخ تقي الدين ابن تيمية رحمه الله، **وهو حق واجب:** لكن بإيجاب الله ذلك الحق على نفسه، والله جل وعلا يحرِّم على نفسه ما يشاء، بما يوافق حكمته، ويوجب على نفسه ما يشاء بما يوافق حكمته، « إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا؛ فَلاَ تَظَالَمُوا».

وبعض أهل العلم تحاشى لفظ الإيجاب على الله، وقال: يعبَّر بأن حق تفضُّلٍ، لا حق إيجاب. وهذا ليس بمُتَعَيِّن؛ لأنّ الحق الواجب، أوجبه الله على نفسه، والعباد لا يوجبون على الله جلّ وعلا شيئا من الحقوق، وهو جلّ وعلا أوجبه على نفسه؛ لأنه تفضَّل على عباده بذلك، والله جلّ جلاله لا يخلف الميعاد.

باب فضل التوحيد وما يكفِّر من الذنوب

❁ ما فضل التوحيد؟ وما دلالة (ما) في قوله (وما يكفِّر من الذنوب)؟ وهل التوحيد يكفِّر بعض الذنوب دون بعض أم يكفر كل الذنوب؟

التوحيد بأنواعه له فضل عظيم على أهله، ومن أعظم فضله أنه به تُكفّر الذنوب.

وقوله: (وما يكفّر من الذنوب)، (ما) هنا موصول حرفي، يعني: تقدَّر مع ما بعدها بمصدر، **فيكون المعنى:** باب فضل التوحيد وتكفيرِه الذنوبَ، ومن أهل العلم من قال إن قوله (وما يكفر من الذنوب)، (ما) هنا موصول اسمي، يعني والذي يكفّره من الذنوب، وهذا أيضا سائغ ظاهر الصحة.

والتوحيد مَن كمّله: فكمَّل توحيد الربوبية، وتوحيد الإلـهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فإنه تُكفّر ذنوبه، فالتوحيد يكفر الذنوب جميعا، لا يكفر بعض الذنوب دون بعض، فإن التوحيد حسنة عظيمة، لا تقابله معصية إلا وأحرق بنور تلك الحسنة أثر تلك المعصية، إذا كَمُل ذلك النور، ومن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وكلما زاد التوحيد كلما محا من الذنوب بمقدار عظمه، وكلّما زاد التوحيد كلما أَمِنَ العبد في الدنيا وفي الآخرة بمقدار عِظمه، وكلما زاد العبد في تحقيق التوحيد كلما كان متعرّضا لدخول الجنة على ما كان عليه من العمل.



❁ يقول الله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾، ما معنى الظلم في الآية؟ وهل وروده كنكرة في سياق النفي يفيد العموم؟ وما معنى الأمن؟ وما وجه المقابلة بين الأمن والاهتداء في الآية، وبين حصول الظلم؟

- **الظلم في الآية جاء بمعنى الشرك**: كما جاء في الصحيحين من حديث ابن مسعود، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية حينما استعظم الصحابة هذه الآية وقالوا: يا رسول أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال: «ليس الذي تذهبون إليه، الظلم الشرك، ألم تسمعوا لقول العبد الصالح ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣]»، فالظلم هنا في مراد الشيخ الشرك، فيكون معنى الآية بما يناسب هذا الباب: الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بشرك، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون، ففضْل الذي آمَنَ يعني وَحَّد، ولم يلبس إيمانه وتوحيده بشرك، أن له الأمن التام والاهتداء التام.
- **وقوله تعالى**: (وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ)، (بِظُلْمٍ) هنا نكرة في سياق النفي (لَمْ يَلْبِسُوا)، وهذا يدل على عموم أنواع الظلم. **والعموم هنا**: من العموم الذي يُراد به الخصوص، يعني لفظه عام ولكن يُراد به الخصوص، فيكون الظلم هنا -صحيح- نكرة في سياق (لم) تدل على العموم؛ لكنه عموم مُرادٌ به الخصوص، وهو خصوص أحد أنواع الظلم؛ وهو الشرك، فيصير العموم في أنواع الشرك، لا في أنواع الظلم كلها؛ لأن من أنواع الظلم ما هو من جهة ظلم العبد نفسه بالمعاصي، ومن جهة ظلم العبد غيره بأنواع التعديات، ومنه ما هو ظلم من جهة حق الله جل وعلا بالشرك، فهذا هو المراد بهذا العموم، فيكون عموما في أنواع الشرك، **فيكون المعنى**: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ)، يعني توحيدهم، بنوع من أنواع الشرك (أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ).

- **ومعنى (الْأَمْنُ) في الآية**: هو الأمن التام في الدنيا، والمراد به أمن القلب، وعدم حزنه على غير الله جل وعلا، والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، وكلما صار ثَمَّ نقص في التوحيد؛ بغشيان العبد بعض أنواع الظلم الذي هو الشرك؛ فيذهب منه من الأمن والاهتداء بقدر ذلك، **هذا من جهة تفسير الظلم بأنه الشرك**.
- **أما إذا فسَّرتَ الظلم بأنه جميع أنواع الظلم**: كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، فإنه يكون هناك مقابلة بين الأمن والاهتداء، وبين حصول الظلم، فكلما انتفى الظلم، وُجد الأمن والاهتداء، وكلما كمُل التوحيد وانتفت المعصية، عظُم الأمن والاهتداء، وإذا زاد الظلم، قل الأمن والاهتداء، بحسب ذلك.

❁ ما مناسبة قوله ﷺ: «مَنْ شهِدُ أَنّ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنّ مُحَمّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنّ عِيسَى عَبْدُ اللهِّ وَرسوله وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وأن َالْجَنّةَ حَقّ، وَالنّارَ حَقّ؛ أَدْخَلَهُ الله الْجَنّةَ على ما كان من العمل» للباب؟

مناسبته قوله ﷺ: (على ما كان من العمل) وقوله: (على ما كان) يعني: على الذي كان عليه من العمل، ولو كان مقصِّرا في العمل، وعنده ذنوب وعصيان، فإن فضل شهادته لله بالوحدانية، ولنبيه بالرسالة، ونفي إشراك المشركين بعيسى، وإقراره بالغيب وبالبعث، كل ذلك له فضل عليه؛ وهو أن يدخله الله به الجنة، ولو كان مقصِّرا في العمل، وهذا من فضل التوحيد على أهله.



❁ ما معنى (القول) في قوله ﷺ: (مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله)؟ وما دلالة القيد في قوله ﷺ (يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله)؟ وهل التحريم على النار في قوله ﷺ (حَرّمَ عَلَى النّارِ)؟ مؤبد أم إلى أمد؟ وما وجه الشاهد من الحديث في الباب؟

المراد بالقول هنا: القول الذي معه تمام الشروط، كقول النبي صلى الله عليه وسلم :(الحجُّ عرفة) يعني إذا أتى ببقية الأركان والواجبات، فقوله ﷺ هنا (مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله) يعني باجتماع شروطها، وبالإتيان بلازمها.

وقوله ﷺ: (يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله) قيدٌ أتى به ليخرج حال المنافقين؛ لأنهم حين قالوها لا يبتغون بذلك وجه الله.

وقوله (حَرّمَ عَلَى النّارِ): تحريم النار في نصوص الكتاب والسنة على درجتين - الأولى تحريم مؤبد، والثانية تحريم بعد أمد .

•فالتحريم المؤبد: يقتضي أنَّ مَن حرَّم اللهُ عليه النار فإنه لن يدخلها، بأن يغفر الله له، أو يكون من الذين يدخلون الجنَّة بلا حساب ولا عذاب.

• والتحريم بعد أمد: يعني: أنه ربما يدخلها، ثم يحرم عليه البقاء فيها.

وهذا الحديث يحتمل الأول، ويحتمل الثاني: (فَإِنّ الله قَدْ حَرّمَ عَلَى النّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ الله)، والذي أتى بالتوحيد، وانتهى عن ضدِّه، وكانت عنده بعض الذنوب والمعاصي، ومات من غير توبة، فهو تحت المشيئة؛ إن شاء اللهُ عذَّبه، ثم حرّم عليه النار، وإن شاء اللهُ غفر له، وحرَّم عليه النار ابتداءً.

ووجه الشاهد من الحديث في الباب: أنَّ كلمة التوحيد، لما ابتغى بها صاحبها وجه الله، وأتى بشروطها، ولوازمها، تفضَّل الله عليه، وأعطاه ما يستحقه من أنَّه حرّم عليه النار.

❀ ما وجه الدلالة في حديث موسى عليه السلام (يا رب! علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يا ربِّ! كل عبادك يقولون هذا، قال: يا موسى! لو أنَّ السماوات السبع وعامرَهن غيري، والأرضين السبع في كفة، و(لا إله إلا الله) في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله؟

في هذا الحديث: دلالة على أن أهل الفضل والرفعة في الدين والإخلاص والتوحيد قد يُنبَّهون على شيء من مسائل التوحيد، فهذا موسى عليه السلام -وهو أحد أولي العزم من الرسل- وهو كليم الله جل وعلا، أراد شيئا يختص به غير ما عند الناس، وأعظم ما يختص به أولياء الله وأنبيائه ورسله وأولوا العزم منهم، هو كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فأراد شيئا أخص، فعلم أنه لا أخص من كلمة التوحيد؛ فهي أفضل شيء، وهي التي دُلّ عليها أُولوا العزم من الرسل، ومَنْ دونهم من الناس.

- **وفيه أيضاً**: أنه لو تمثلت السماوات أجساما، والأرض جسما، والجميع يوضع في ميزان له كفّتان، وجاءت لا إله إلا الله في الكفّة الأخرى؛ لمالت بهن لا إله إلا الله، لأن في هذه الكلمة ثِقَلٌ لميزان من قالها، وعِظَمٌ في الفضل لمن اعتقدها، وما دلت عليه.
- **وهذا هو الذي دل عليه حديث البطاقة**: حيث جُعل على أحد العصاة سجلات عظيمة، فقيل: له هل لك من عمل؟ فقال: لا، فقيل: بلا، ثم أخرجت له بطاقة فيها لا إله إلا الله فوُضعت في الكفة الأخرى فطاشت سجلات الذنوب وثقُلت البطاقة.
- **وهذا الفضل العظيم لكلمة التوحيد**: إنما هو لمن قويت في قلبه؛ بأن كان مخلصاً فيها، مصدِّق بها، لا ريب عنده فيما دلت عليه، محب لما دلت عليه، فيقوى أثرُها في القلب

ونورُها، وما كان كذلك فإنها تُحرق ما يقابلها من الذنوب، وأما من لم يكن من أهل تمام الإخلاص فيها فإنه لا تطيش له سجلات الذنوب.

- **فيكون هذا الحديث، وحديث البطاقة:** يدلَّان على أن لا إله إلا الله لا يقابلها ذنب، ولا تقابلها خطيئة؛ لكن هذا في حق من كمّلها وحقّقها، بحيث لم يخالطها في قلبه في معناها ريب ولا تردد؛ ومعناها مشتمل على الربوبية بالتضمن، وعلى الأسماء والصفات باللزوم، وعلى الإلـهية بالمطابقة.

باب مَن حقَّق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب

❁ **ما ميزة هذا الباب على الذي قبله؟ وما معنى تحقيق التوحيد؟**

- هذا الباب أرفع رتبة من باب (بيان فضل التوحيد)، فإن فضل التوحيد يشترك فيه أهل الإسلام جميعاً، فلكل مسلم نصيب من التوحيد، وله بالتالي نصيب من فضل التوحيد، وتكفير الذنوب.
- **أمّا خاصة هذه الأمة:** فهم الذين حققوا التوحيد، ولهذا عطف هذا الباب على ما قبله لأنه أخص (باب من حقق التوحيد؛ دخل الجنة بغير حساب).
- **وتحقيق التوحيد:** بمعنى تحقيق الشهادتين: (لا إله إلاَّ الله، محمد رسول الله)، ومعنى تحقيق الشهادتين: تصفية دين المرء من شوائب الشرك والبدع والمعاصي.

فصار تحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أشياء:

- الأول: ترك الشرك بأنواعه الأكبر والأصغر والخفي.
- والثاني: ترك البدع بأنواعها.
- والثالث: ترك المعاصي بأنواعها.

❁ ما درجات تحقيق التوحيد؟

تحقيق التوحيد يكون على درجتين:

♦ درجة واجبة.

♦ ودرجة مستحبة.

وعليه فيكون الذين حققوا التوحيد على درجتين أيضا:

فالدرجة الواجبة: أن يترك ما يجب عليه تركه من الثلاث التي ذُكرت؛ فيترك الشرك، خفيَّه وجليَّه، صغيرَه وكبيره، ويترك البدع، ويترك المعاصي، فهذه الدرجة الواجبة.

والدرجة المستحبة من تحقيق التوحيد: وهي التي يتفاضل فيها الناس من المحققين للتوحيد أعظم تفاضل، ألا وهي: ألاّ يكون في القلب شيء من التوجّه أو القصد لغير الله جلّ وعلا.

وعليه: فمَن أتى شيئا من المعاصي والذنوب ثم لم يتب منها، أو لم تُكفَّر له، فإنه لم يحقق التوحيدَ الواجب، وإذا أتى شيئا من البدع فإنه لم يحقق التوحيد الواجب، وإذا لم يأتِ شيئا من البدع، ولكن حسّنها بقلبه، أو قال لا شيء فيها، فإن حركة القلب كانت في غير تحقيق التوحيد، فلا يكون من أهل تحقيق التوحيد.

وكذلك أهل الشرك بأنواعه: ليسوا من أهل تحقيق التوحيد.

❁ ما مناسبة قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ للباب؟ وما معنى أُمَّة؟ وما معنى (قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا)؟ وهل هما متلازمتان؟

- **هذه الآية**: فيها الدّلالة على أنَّ إبراهيم عليه السلام كان محققا للتوحيد؛ ووجه الدلالة أن الله جلّ وعلا وصفه بصفات:



- **الأولى**: أنه كان أُمّة، والأمة هو الإمام الذي جمع جميع صفات الكمال البشري وصفات الخير، وهذا يعني أنه لم ينقص من صفات الخير شيئا، وهذا هو معنى تحقيق التوحيد.
- **والأَمَّة تطلق في القرآن إطلاقات**: منها (الإمـام المقتدىٰ به في الخير)، وسُمِّي أمّة لأنه يقوم مقام أمَّة في الاقتداء، ولأنه يكون مَن سار على سيره غير مستوحش ولا متردّد، لأنه ليس مع واحد فقط وإنما هو مع أمة.
- **الوصف الثاني الذي فيه تحقيق التوحيد**: أنه قال: (قَانِتًا) فهذه صفة، و (حَنِيفًا) كذلك صفة؛ **ولكن هذه وهذه متلازمتان**: لأن القنوت لله معناه دوام وملازمة الطاعة لله جل وعلا، فهو ملازم لطاعة لله جل وعلا، (حَنِيفًا) فيها النفي، ففي قوله (قَانِتًا لِّلَّهِ) الإثبات في لزوم الطاعة ولزوم إفراد التوحيد، وفي قوله (حَنِيفًا) النفي.
- **قال العلماء**: الحنيف هو ذو الحَنَفِيّ، وهو الميل عن طريق المشركين، مائلا عن طريق المشركين، مائلا عن هدي وسبيل المشركين، ومعلوم أن طريقهم مشتمل على الشرك والبدعة والمعصية، فهي ثلاث أخلاق للمشركين؛ شرك وبدعة ومعصية، من غير إنابة ولا استغفار.
- **قوله**: (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ): لم يكُن منهم، ولم يكُن من الذين يفعلون الشرك بأنواعه. **وأيضا دل قوله**: (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) على أنه ابتعد عنهم، لأن (مِن) تحتمل أن تكون تبعيضية؛ فتكون المباعدة بالأجسام، ويحتمل أن تكون بيانية؛ فتكون المباعدة عن معنى الشرك، فالشيخ رحمه الله استحضر هذه المعاني من الآية، فدلته الآية على أنها في تحقيق التوحيد.



❁ ما مناسبة قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ للباب؟ ولماذا قدم قوله (بِرَبِّهِمْ) على قوله (لَا يُشْرِكُونَ)؟.

هذه الآية جاءت في مدح خاصة المؤمنين: فهي دالة على ما ترجم به الإمـام رحمه الله من قوله: [باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب] وأولئك قال فيهم الله جل وعلا ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾.

ووجه الاستدلال بها: أنه قال:)وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ)، فقوله: (لَا يُشْرِكُونَ) نفي للشرك، ومعلومٌ أنَّ النفي إذا تسلَّط على الفعل المضارع فإنه يفيد عموم المصدر الذي استكنَّ في الفعل؛ يعني كأنه قال جل وعلا: والذين هم بربهم لا يفعلون شركا، أو لا يشركون لا بشرك أكبر، ولا أصغر، ولا خفي، والذي لا يُشرك هو الموحِّد، فصار عندنا لازمٌ وهو: أنَّ مَن لم يشرك أي نوع من أنواع الشرك، فإنه ما ترك الشرك إلا لتوحيده.

- **قال العلماء**: قدّم قوله (بِرَبِّهِمْ)، في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ)؛ لأن الربوبية تستلزم العبودية، فصار عدم الإشراك في الربوبية معناه عدم الإشراك في الطاعة، وعدم الإشراك في العبودية كذلك، وهذا وصفٌ للذين حققوا التوحيد؛ لأنه يلزم مِن عدم الإشراك ألاَّ يُشرك هواه، وإذا أشرك المرء هواه أتى بالبدع، أو أتى بالمعصية، فصار نفي الشرك نفياً للشرك بأنواعه، ونفيا للبدعة، ونفيا للمعصية، وهذا هو تحقيق التوحيد لله جل وعلا.



❃ **من هم الذين حققوا التوحيد؟ وما موضع الشاهد من الحديث الطويل: «الّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُون، وَلاَ يَتَطَيّرُونَ، وَعَلَى رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ)، وما معنى الاسترقاء، والكي، والتطير؟.**

هذا الحديث في صفة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب: وهذه صفة من صفاتهم، وتلك الصفة خاصة بهم لا يلتبس أمرهم فيها بغيرهم؛ لأن هذه الصفة كالشامة يُعرفون بها.

فالذين حققوا التوحيد: هم (الّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُون، وَلاَ يَتَطَيّرُونَ، وَعَلَىَ رَبّهِمْ يَتَوَكّلُونَ).

فهذه أربع صفات:

الأولى: أنهم (لاَ يَسْتَرْقُونَ)، يعني: لا يطلبون الرُقية، والطالب للرقية في قلبه ميل للراقي حتى يرفع ما به من جهة السبب، وهذا ينافي كمال التوكل على الله جل جلاله.

وأما ما جاء في بعض الروايات أنهم الذين (لاَ يَرْقُون) فهذا غلط؛ لأنّ الراقي مُحسن إلى غيره، وهي لفظة شاذة، والصواب ما جاء في هذه الرواية من أنهم الذين (لاَ يَسْتَرْقُونَ)، يعني لا يطلبون الرقية.

الثانية: (وَلاَ يَكْتَوُون(، والكيُّ مكروه في أصله؛ لأن فيه تعذيبا بالنار، مع أنّه مأذون به شرعا؛ والعرب تعتقد أن الكيَّ يُحدث المقصود دائما، فلهذا تتعلق قلوبهم بالكي، فصار تعلق القلب بهذا الكي من جهة أنّه سبب يؤثر دائما، ومعلوم أن الكيَّ يؤثر بإذن الله جل وعلا إذا اجتمعت الأسباب وانتفت الموانع، فالنفي في الحديث لأجل أن في الكيِّ بخصوصه ما يتعلق الناس به من أجله.



الثالثة: (**ولا يَتَطَيَّرُونَ**)، والطِّيَرَة شيء يعرض على القلب من جرَّاء شيء يحدث أمامه، إما أن يجعله يُقدم على أمرٍ، أو أن يُحجم عنه، وهذه صفة من لم يكن التوكل في قلبه عظيما.

الرابعة: (**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**)، وهي جامعة للصفات السابقة.

ولا يعني ذكر هذه الأسباب: أن الذين حققوا التوحيد لا يباشرونها، كما فهمه بعضهم من أن تحقيق التوحيد أو أن الكمال أن لا يباشر سببا البتة، أو أن لا يتداوى البتة، فهذا غلط؛ لأن النبي ﷺ رُقِيَ، ولأنه عليه الصلاة والسلام تداوى، وأمر بالتداوي، وأمر أيضا بعض الصحابة بأن يكتوي، فليس فيه أن أولئك لا يباشرون الأسباب مطلقا، أو لا يباشرون أسباب الدواء، وإنما فيه ذكر لهذه الثلاث بخصوصها؛ لأنها يكثر تعلق القلب بها، كتعلق القلب والتفاته إلى الراقي، أو الكي أو الكاوي، أو إلى التطير، ففيها إنقاص من التوكل.

أما التداوي: فهو مشروع، وهو إمّا واجب أو مستحب، وفي بعض الأحوال يكون مباحا، وقد قال النبي ﷺ: «**تداووا عباد الله ولا تتداووا بحرام**»، فليس التداوي خارما لتحقيق التوحيد؛ ولكن الذي هو من صفة أهل تحقيق التوحيد أنهم لا يسترقون -بخصوص الرقية-، ولا يكتوون -بخصوص الكيّ-، ولا يتطيرون، وأمّا ما عدا ذلك مما أُذِن به فلا يدخل فيما يختصّ به أهل تحقيق التوحيد.

فالأظهر مما في هذا الحديث: أنه مخصوص بهذه الثلاثة (لاَ يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَكْتَوُون، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ)، أمّا الأسباب الأخرى المأذون بها فلا تدخل في صفة الذين حققوا التوحيد.

وقوله ﷺ: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**» فيه دليل على أنّ أهل تحقيق التوحيد قليل، وليسوا بكثير؛ ولهذا جاء عديدهم في هذا الحديث بأنهم سبعون ألفا، وقد جاء في بعض الروايات عند الإمام أحمد وغيره، بأنّ الله جل وعلا أعطى النبي ﷺ مع كل ألف من السبعين ألفا، أعطاه سبعين

ألفا، فيكون العدد قَرابة خمسة ملايين من هذه الأمـة، فإن كان ذلك الحديث صحيحا -وقد صحح إسناده بعض أهل العلم- فإنه لا يكون للعدد في هذا الحديث مفهوم، أو كان قبل سؤال النبي ﷺ أن يُزاد في عدد أولئك الذين حققوا التوحيد.

ومعنى أن يُزاد في عددهم: أن الله جلّ وعلا يمنُّ على أناس من هذه الأمة أكثر من السبعين ألفا ممن سيأتون، فيوفقهم لعمل تحقيق التوحيد، والله جل وعلا هو الذي يوفق، وهو الذي يهدي.

باب الخوف من الشرك

❁ **ما علاقة هذا الباب بالذي قبله، ومناسبته له؟ وما معنى الشرك؟ وما ثمرات الخوف منه؟**

يأتي هذا الباب بعد باب: (مَن حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب)، وكل مَن حقق التوحيد، فلا بد أن يخاف من الشرك، ولهذا سيدُ المحققين للتوحيد ﷺ كان يُكثر من الدعاء، بأن يُبعَد عنه الشرك، وكذلك إبراهيم عليه السلام كان يُكثر من الدعاء بأن لا يدركه الشرك أو عبادة الأصنام.

فمناسبة هذا الباب لما قبله ظاهرة: من أن تحقيق التوحيد عند أهله معه الخوف من الشرك، وقلَّ من يكون مخاطرًا بتوحيده، أو غير خائف من الشرك ويكون على مراتب الكمال؛ بل لا يوجد، فكل محقق للتوحيد، وكل راغب فيه، وحريص عليه، لابد وأن يخاف من الشرك، وإذا خاف من الشرك فإنَّه سيسعى في البعد عنه.

ولهذا: بوّب الشيخ رحمه الله هذا الباب (باب الخوف من الشرك)، وكأنه قال لك: إذا كنت تخاف من الشرك كما خاف منه إبراهيم عليه السلام، وكما توعّد الله أهل الشرك بأنه لا يغفر



شركهم، فإذن تعلَّم ما سيأتي في هذا الكتاب، فإن هذا الكتاب إنما هو لأجل الخوف من الشرك، ولأجل تحقيق التوحيد، وما بعد هذين البابين؛ (باب مَن حقق التوحيد)، و (باب الخوف من الشرك)، ما بعدهما تفصيل لهاتين المسألتين العظيمتين؛ (تحقيق التوحيد)، و (الخوف من الشرك) ببيان معناه، وبيان أنواعه.

والشرك هو: إشراك غير الله معه في نوع من أنواع العبادة، وقد يكون أكبر، وقد يكون أصغر، وقد يكون خفيا.

والخوف من الشرك يُثمر ثمرات:

منها أن يكون عالماً بالشرك بأنواعه، حتى لا يقع فيه.

ومنها أن يكون متعلما للتوحيد بأنواعه، حتى يقوم في قلبه الخوف من الشرك، ويَعْظُم.

ومنها أنّ الخائف من الشرك يكون قلبه دائما مستقيما على طاعة الله، مبتغياً مرضاة الله، فإن عصى، أو غفل، كان استغفاره استغفار مَن يعلم عِظم شأن الاستغفار، وعِظم حاجته للاستغفار؛ فإن مَن علِم حقَّ الله جل وعلا، وسعى في توحيده، وتعلّم ذلك، وسعى في الهرب من الشرك، فإنه إذا غفَل وجد أنه أشد ما يكون حاجةً إلى الاستغفار.

❁ ما معنى المغفرة في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وما دلالتها؟ وهل المقصود بالشرك فيها الأصغر أم الأكبر؟، مع بيان اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأئمة الدعوة؟ وما الذي يكفِّر الشرك بأنواعه عندهم؟.

المغفرة في اللغة: يقال غَفَرَ إذا سَتَرَ، ومنه سُمِّي ما يوضع على الرأس مِغْفَرَ؛ لأنه يستر الرأس ويقيه الأثر المكروه مِن وقع السيف ونحوه.

فمادة (المغفرة) راجعة إلى ستر الأثر الذي يُخاف منه: والشرك أو المعصية لها أثرها، إمّا في الدنيا، وإمّا في الآخرة، أو فيهما جميعا، وأعظم ما يُمَنُّ به على العبد أن يُغفر ذنبه، وذلك بأن يُستر عليه، وأن يُمحى أثره، فلا يؤاخذ به في الدنيا، ولا يؤاخذ به في الآخرة، ولولا المغفرة لهلك الناس.

ودلالتها هنا: أن قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ)، (لَا يَغْفِرُ) يعني: أبدًا، (أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) يعني أنه بوعده هذا لم يجعل مغفرته لمن أشرك به.

قال العلماء: في هذه الآية دليل على أن المغفرة لا تكون لمن أشرك شركا أكبر، أو أشرك شركاً أصغر، فإن الشرك لا يدخل تحت المغفرة؛ بل يكون بالموازنة، لا يُغفر إلاَّ بالتوبة؛ فمن مات على ذلك غير تائب فهو غير مغفور له ما فعله من الشرك، وقد يُغفر غير الشرك كما قال تعالى: (وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ).

من العلماء مَن جعل الآية دليلاً على أن الشرك الأكبر والأصغر لا يدخلان تحت المشيئة: ووجه الاستدلال من الآية، أن قوله (لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) (أن يُشْرَكَ) (أَنْ) هذه موصول حرفي مع (يُشْرَكَ) وهو فِعل، وتُقَدَّر (أَنْ) المصدرية مع ما بعدها من الفعل- كما هو معلوم- بمصدر؛ والمصدر نكرة وقع في سياق النفي، وإذا وقعت النكرة في سياق النفي عمّت، قالوا: فهذا يدل على أن الشرك هنا الذي نُفي أن يغفره الله هو الأكبر والأصغر والخفي، فكل أنواع الشرك لا يغفرها الله جل وعلا؛ لعظم خطيئة الشرك؛ ولأن الله جل وعلا هو الذي خلق، وهو الذي رزق، وهو الذي أعطى، وهو الذي تفضّل، فكيف يتوجه القلب عنه إلى غيره؟ لا شك أن هذا ظلم، وهو ظلم في حق الله جل وعلا، ولذلك لم يُغفر، (وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وأكثر علماء الدعوة).



وقال آخرون من أهل العلم: إن قوله تعالى (لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) دالة على العموم، ولكن هذا (عموم مخصوص)؛ هذا عموم مراد به خصوص الشرك الأكبر (لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) يعني الشرك الأكبر فقط دون غيره، وأمّا ما دون الشرك الأكبر فإنه يكون داخلا تحت المشيئة، فيكون العموم في الآية مرادا به الخصوص.

قالوا: لأن القرآن فيه هذا اللفظ: (أَنْ يُشْرَكَ بِهِ) ونحو ذلك، ويُراد به الشرك الأكبر دون الأصغر غالبا، فالشرك غالبا ما يطلق في القرآن على الأكبر دون الأصغر، قال جل وعلا: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾[المائدة:٧٢]، **فقوله:** (مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ) هنا داخل أيضاً في سياق الشرط فيكون عامّا، فهل يدخل الشرك الأصغر والخفي فيه؟ بالإجماع لا يدخل؛ لأن تحريم الجنة وإدخال النار والتخليد فيها إنما هو لأهل الموت على الشرك الأكبر، **فدلّنا ذلك:** على أن المراد بقوله: (مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ) أنهم أهل الشرك الأكبر، فلم يدخل الأصغر، ولا أنواعه، فيكون فهم آية النساء على فهم آية المائدة ونحوها، كقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:٣١] في الشرك الأكبر، دون الأصغر.

فيكون المراد على هذا القول: أن ما نُفي أن يغفره الله هو الشرك الأكبر.

ولما كان اختيار إمام الدعوة: كما اختيار عدد من المحققين؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم وغيرهما: أن العموم هنا للأكبر، وكذلك الأصغر؛ كالحلف بغير الله، أو تعليق التميمة أو حلقة أو الخيط، أو نحو ذلك من أنواع الشرك الأصغر، وكذلك الشرك الخفي، كان



الاستدلال بهذه الآية صحيحا؛ لأنّ الشرك أنواع، وإذا كان الشرك بأنواعه لا يُغفر، فهذا يوجب الخوف منه أعظم الخوف.

وإذا كان كذلك: فإنه يجتمع في الخوف من الشرك من هم علىٰ غير التوحيد؛ يعني من يعبدون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ويتوجهون إلىٰ غير الله، ويذبحون وينذرون لغير الله، ويحبون محبة العبادة لغير الله، ويرجون غير الله رجاء العبادة، ويخافون خوف السّر من غير الله، إلىٰ غير ذلك، يكون هؤلاء أوّلىٰ بالخوف من الشرك؛ لأنهم وقعوا فيما هو متفق عليه في أنه لا يُغفر.

كذلك يقع في الخوف: ويكون الخوف أعظم ما يكون في أهل الإسلام الذين قد يُشركون بعض أنواع الشرك، من الشرك الخفي، أو الشرك الأصغر بأنواعه، وهم لا يشعرون، أو وهم لا يحذرون، فيكون الخوف أعظم إذا عِلِم العبد المسلم أن الشرك بأنواعه لا يُغفر، وأنه مؤاخذ به.

يُغفر الشرك الأصغر بالتوبة فقط: فليست الصلاة إلىٰ الصلاة يُغفر بها الشرك الأصغر، وليس رمضان إلىٰ رمضان يُغفر به الشرك الأصغر، وليست الجمعة إلىٰ الجمعة يُغفر به الشرك الأصغر، إنما يُغفر بالتوبة فقط، فإن لم يتب منه صاحبه، فإنه ثمّ الموازنة بين الحسنات والسيئات، وما ظنكم بسيئة فيها التشريك بالله مع حسنات، لا ينجو من ذلك إلا مَن عظُمت حسناته فزادت علىٰ سيئة ما وقع فيه من أنواع الشرك، ولا شك أنَّ هذا يوجب الخوف الشديد من الشرك بأنواعه، حيث أن جنس الشرك بأنواعه أعظم من كبائر الأعمال المعروفة.

❁ ما دلالة قوله تعالى: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ على وجوب الخوف من الشرك؟، وما معنى الأصنام؟ وما الفرق بينها وبين الأوثان؟

هذا إبراهيم عليه السلام: -كما في هذه الآية- خاف الشركَ، وخاف عبادَةَ الأصنام، فدعا الله بقوله: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ. رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾[إبراهيم:٣٥-٣٦]، فكيف بمَن دون إبراهيم ممن ليس من السبعين ألفا، وهم عامة هذه الأمة؟ والواقع أن عامة الأمة لا يخافون من الشرك. **وقد قال إبراهيم التيمي رحمه الله وهو من سادات التابعين لما تلا هذه الآية:** (ومن يأمن البلاءَ بعد إبراهيم)، إذا كان إبراهيم عليه السلام وهو الذي حقق التوحيد، وهو الذي وُصف بما وُصف به، وهو الذي كسر الأصنام بيده، ويخاف من الشرك؟ فمن يأمن البلاء بعده؟، ما ثمَّ إلا أهل الغرور وهذا يوجب الخوف الشديد، لأنه ما أُعطي إبراهيم الضمانَ على أن لا يُشرِك، وعلى أن لا يزيغ قلبه، مع أنه سيد المحققين للتوحيد في زمانه؛ بل وبعد زمانه إلى نبينا صلى الله عليه وسلم فهو سيد ولد آدم، ومع ذلك خاف.

و **(الْأَصْنَام)**: جمع صنم، والصنم هو ما كان على صورة مما يُعبد من دون الله. يُصوَّر على شكل وجه رجل، أو على شكل جسم حيوان، أو رأس حيوان، أو على شكل صورة كوكب أو نجم، أو على شكل الشمس و القمر ونحو ذلك، فتلك الصور يُقال لها أصنام.

والوثن: هو ما عُبد من دون الله مما هو ليس على شكل صورة؛ فالقبر وثن وليس بصنم، ومشاهِد القبور عند عُبَّادها أوثان وليست بأصنام، **وقد يُطلق على الصنم أنه وثن:** كما قال جل وعلا في قصة إبراهيم ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾[العنكبوت:١٧]، فقد

يُطلق على قلة، وقال بعض أهل العلم هم عبدوا الأصنام، وعبدوا الأوثان جميعا، فصار في بعض الآيات ذكر الأصنام لعبادتهم الأصنام، وفي بعض الآيات ذكر الأوثان لعبادتهم الأوثان، والأول أظهر؛ لأنه قد يُطلق على الصنم أنه وثن، ولهذا: قال النبي ﷺ: ‹‹**اللّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ**›› فدعا اللهَ ألاّ يجعل قبره وثنا، فصار الوثن ما يُعبد من دون الله، مما ليس على هيئة صورة.

❁ **في الحديث: «أخوَفُ ما أخافُ عليكم الشركَ الأصغرَ». فسئل ﷺ عنه فقال: «الرياء»، فما معنى الرياء؟ وما أقسامه؟ وهل هو محبطٌ لأصل العمل؟، مع ذكر الشاهد من الحديث؟**

الرياء: مشتق من الرؤية.

وهو قسمان: رياء المنافق، ورياء المسلم.

فرياء المنافق: هو رياء في أصل الدين، بأن أظهر الإسلام وأبْطَنَ الكفر.

وأما رياء المسلم الموحد: فهو أن يُحَسِّنَ صلاته من أجل نظر الرجل، أو أن يُحَسِّنَ تلاوته لأجل التسميع.

والرياء الذي هو الشرك الأصغر: قد يكون محبطا لأصل العمل، وقد يكون محبطا للزيادة التي زادها.

فيكون محبطا لأصل العمل الذي تعبَّد به صاحبه إذا ابتدأ النية بالرياء؛ كأن يدخل في صلاة الراتبة لأجل أن يُرى أنه يصلي، وليس عنده رغبة في أن يصلي الراتبة، لكنه لما رأى أنه يُرى، ولأجل أن يُمدح بما يراه الناس منه صلّى، فهذا عمله وصلاة هذه حابطة ليس له فيها ثواب.



وإن جاء الرياء في أثناء العبادة، فإن ما زاده لأجل الرؤية يَبطُل، كما قال ﷺ «قَالَ اللهُ تَعَالَىَ: أَنَا أَغْنَىَ الشّرَكَاءِ عَنِ الشّرْكِ. مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»

والشاهد من الحديث: قوله ﷺ (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) فإن الشرك هو أخوف الذنوب التي خافها النبي ﷺ على أهل التوحيد؛ لأنهم ما داموا أهل توحيد فإنهم ليسوا من أهل الشرك الأكبر، فبقي ما يُخاف عليهم وهو الشرك الأصغر.

والشرك الأصغر: تارة يكون في النِّيَّات، وتارة يكون في الأقوال، وتارة يكون في الأعمال، فيكون في القلب تارة، وفي المقال تارة، وفي الفعال تارة أخرى.

وسيأتي في هذا الكتاب بيان أصناف من كلِّ واحدة من هذه الثلاث.

والرياء هو أخوف الذنوب على هذه الأمة: لأجل أثره، وهو أنه لا يُغفر، ولأجل أن الناس قد يغفلون عنه، فلهذا خافه عليهم ﷺ، والشيطان حرص أن يدخِل أهل التوحيد في الشرك الأصغر من جهة الرياء في الأقوال والأعمال والنيات، وفرحه به أعظم من فرحه بغيره من الذنوب.

❀ في الحديث (مَن ماتَ وهوَ يَدعو مِن دون اللهّ نِدّاً دخلَ النار)، ما وجه الدلالة في الحديث؟، وما معنى (من دون الله نداً)؟، وهل دخول النار في الحديث على التأبيد أم إلى أمد؟

وجه الاستدلال من الحديث: أنه ﷺ قال:)مَن ماتَ وهوَ يَدعو مِن دون اللهّ نِدّاً) ودعوة النِّد من دون الله من الشرك الأكبر؛ لأن الدعاء عبادة، وهو أعظم العبادة، كما في الحديث الصحيح «الدعـاء هو العبادة» وفي السنن (الدعـاء مخ العبادة) فهو أعظم أنواع العبادة، فمن مات وهو يصرف هذه العبادة أو شيئا منها لغير الله –ند من الأنداد– فقد استوجب النار.



فلو أشرك النبي ﷺ لحبِط عمله، ولكان في الآخرة من الخاسرين، أفلا يوجب هذا الخوف من الشرك ممن دونه ﷺ، ممن يدّعي الصلاح والعلم؟.

ولفظ (من دون الله): يكثر في القرآن والسنة، وهو عند علماء التفسير وعلماء التحقيق يراد بها شيئآن:

الأول: أن تكون بمعنى (مع الله)، وعبَّر عن المعية بلفظ (من دون الله) لأن كل من دُعِي مع الله فهو دون الله جل وعلا، فهم دونه، والله جل وعلا هو الأكبر، هو العظيم، وفي هذا دليل على بشاعة عمله.

والثاني: أن تكون بمعنى (غير الله)، فتكون (مِن دون الله) يعني: أنه لم يعبد الله وأشرك معه غيره؛ بل دعا غيره استقلالا، فشملت من دون الله الحالين: من دعا الله ودعا معه غيره، ومن دعا غير الله وتوجه إليه استقلالاً.

وقوله (دخل النار): يعني كحال الكفار خالدا فيها؛ لأن الشرك الأكبر إذا وقع من المسلم فإنه ولو كان أصلح الصالحين يُحبَط به عمله، قال جل وعلا لنبيه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[الزمر:٦٥].

❁ في قوله ﷺ (مَنْ لَقِيَ الله لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ الْجَنّة، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ النّارَ) عمومان، فما هما؟ وهل دخول النار في الحديث على التأبيد أم إلى أمد؟ وهل يدخل الشرك الأصغر في معنى هذا الحديث؟.

فيه الحديث نوعان من العموم:

عموم في أنواع الشرك فهي منفية.

وعموم في المتوجَّه إليهم في المشرَك بهم في قوله (شَيْئا)



ومعنى قوله ﷺ: (مَنْ لَقِيَ الله لاَ يُشْرِكُ به) يعني: بأي أنواع من الشرك، (شَيْئا) يعني لم يتوجه إلى أي أحد، لا لملك، ولا لنبي، ولا لصالح، ولا لطالح، ولا لجني، ولا لحجر، ولا لشجر، إلى غير ذلك، (دَخَلَ الْجَنّةَ) يعني: أنَّ الله جل وعلا وعده بدخول الجنة برحمته سبحانه وتفضُّله، وبوعده الصادق الذي لا يُخلَف، (وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ النّارَ) فكل مشرِك متوَعَّدٌ بالنار؛ بل وجه الدلالة كما يستقيم مع استدلال الشيخ بالآية: أن من لقي الله وهو على شيء من الشرك الأكبر أو الأصغر أو الخفي، فإنه سينال العقوبة والعذاب في النار والعياذ بالله.

وقوله ﷺ: (وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئا دَخَلَ النَارَ) فيها عموم كذلك؛ لأن (مَنْ) شرطية و(يُشْرِكُ) فيها نكرة، وهي عامة لأنواع الشرك و(شَيْئا) عامة في المتوجه إليه.

ودخول النار هل يكون أبدياً أم إلى أمد؟ هذا يكون بحسب الشرك:

فإن كان الشرك أكبر ومات عليه، فإنه يدخل النار دخولا أبدياً.

وإن كان الشرك ما دون الشرك الأكبر كأن يكون شركاً أصغر، أو خفياً، فإنه متوعد بالنار وسيدخل النار ويخرج منها لأنه من أهل التوحيد.

والشرك الأصغر يدخل في هذه الموازنة: موازنة الحسنات والسيئات، وأنه إذا رَجَحت حسناته أنه لا يعذَّب على الشرك الأصغر؛ لكن هذا ليس في كل الخلق؛ لكن منهم من يعذَّب على الشرك الأصغر، لأن الموازنة بين الحسنات والسيئات ليست في كل الخَلْق، وليست في كل الذنوب؛ بل قد يكون من الذنوب ما يستوجب النار ولو رَجَحت الحسنات على السيِّئات، فإنه يستوجب الجنة، ولكن لابد من أن يُطَهَّر في النار.



وفرقٌ بين الشرك الأصغر مع العلم، والشرك الأصغر مع الجهل: كما في قوله ﷺ: (أعوذ بك أن أُشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم)؛ لأن أمر الشرك الأصغر مع العلم عظيم، فيستعيذ المرء بالله من أن يشرك شركا أصغر، وما هو أعلى منه من باب أولى وهو يعلم.

وقال: (وأستغفرك لما لا أعلم) لأن المرء قد يقع شيئا على فلتات لسانه وهو لا يعلم، ولم يقصد ذلك، فيستغفر الله جل وعلا منه.

هذا يدلنا على أن الشرك أمره عظيم: ومن تهاون بأمر الشرك والتوحيد فإنه تهاون بأصل دين الإسلام؛ بل تهاون بدعوة النبي ﷺ في مكة سنين عددا؛ بل تهاون بدعوة الأنبياء والمرسلين جميعاً، فإنهم قد اجتمعوا على شيء ألاَ وهو العقيدة، وتوحيد الربوبية والعبادة والأسماء والصفات لله عز وجل، وأمـا شرائعهم فشتّى، فالحذر كل الحذر من الشرك بأنواعه، ومهمٌ لك أن تتعلم أفراد الشرك، وأفراد التوحيد، فإنما يستقيم العلم بذلك إذا تعلمت الأفراد، دون التعلم الإجمالي.



باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

❁ ما مناسبة ذكر هذا الباب بعد الأبواب قبله؟، مع بيان أهم ما تميزت به هذه الدعوة المباركة؟

بوَّب الشيخ رحمه الله بهذا الباب: ليدل على أن مِن تمام الخوف من الشرك، ومِن تمام التوحيد أن يدعو المرء إلى التوحيد، فإنه لا يتم التوحيدُ في القلب حتى تدعو إليه، وهذه حقيقة شهادة أن لا إله إلاَّ الله؛ لأن الدعوة إلى شهادة أنْ لا إله إلاَّ الله عُلمت حيث شهِد العبد المسلم لله بالوحدانية، **وشهادته معناها:** اعتقاده ونُطْقه وإخباره الغير بما دلت عليه، فلابد إذن في حقيقة الشهادة وفي تمامها أن يكون المكلَّف الموحِّد داعيا إليها، فلهذا ناسب أن يُذكر هذا الباب بعد الأبواب التي قبله.

ثم له مناسبة أخرى لطيفة وهي: أنَّ ما بعد هذا الباب هو تفسيرٌ للتوحيد وبيان أفراده، وتفسير للشرك وبيان أفراده، فتكون الدعوة إلى التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله دعوة إلى تفاصيل ذلك، وهذا من المهمات؛ لأن كثيرين من المنتسبين للعلم من أهل الأمصار يُسلِّمون بالدعوة إلى التوحيد إجمالا؛ ولكن إذا أتى التفصيل في بيان مسائل التوحيد، أو جاء التفصيل لبيان أفراد الشرك فإنهم يخالفون في ذلك، وتغلبهم نفوسهم في مواجهة الناس بحقائق أفراد التوحيد، وأفراد الشرك.

والذي تميزت به هذه الدعوة: أنها دعوة تفصيلية لا إجمالية، ولهذا فصَّل الإمـام رحمه الله في هذا الكتاب أنواع التوحيد وأفراد توحيد العبادة، وفصَّل الشرك الأكبر والأصغر وبين أفرادا من ذا وذاك.

❁ ما موطن الشاهد في قوله تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا و مَنِ اتَّبَعَنِي﴾؟، مع ذكر الفوائد المستنبطة من الآية الكريمة؟.

قوله جل وعلا (أَدْعُو إِلَى اللَّهِ): هو موطن الشاهد من الآية، فإنه دعاء إلى الله لا إلى غيره.

وهذه فيها فائدتان:

الأولى: أن الدعوة إلى الله دعوة إلى توحيده، وإلى دينه، كما سيأتي في تفسير هذه الكلمة في الحديثين بعدها؛ حديث ابن عباس بإرسال معاذ إلى اليمن، وحديث سهل بن سعد في إعطاء عليٍّ الراية.

الثانية: أن في قوله تعالى (أَدْعُو إِلَى اللَّهِ) التنبيه على الإخلاص، وهذا يحتاجه من أراد الدعوة إلى شهادة أن لا إلـه إلاَّ الله، والدعوة إلى الإسلام؛ حيث يحتاج أن يكون مخلصا في ذلك، ولهذا قال الشيخ رحمه الله في مسائل هذا الباب: (في قوله: (إلى اللَّه) تنبيهٌ على الإخلاص)؛ لأن كثيرين وإن دعوا إلى الحق فإنما يدعون إلى أنفسهم، أو نحو ذلك.

وقوله تعالى: (عَلَى بَصِيرَةٍ): البصيرة هي العلم؛ والبصيرة للقلب كالبصر للعين، يبصر بها المعلومات والحقائق، فكما أنك بالعين تُبصر الأجرام والذوات فالمعلومات تُبصَر بالبصيرة؛



بصيرة القلب والعقل، يعني: أنه دعا علىٰ علمٍ وعلىٰ يقينٍ وعلىٰ معرفةٍ، لم يدعُ إلىٰ الله علىٰ جهالة.

وقوله تعالى: (أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) يعني: أدعو أنا إلىٰ الله ومن اتبعني ممن أجاب دعوتي، فإنهم يدعون إلىٰ الله أيضا علىٰ بصيرة، وهذا أيضا من مناسبة إيراد الآية تحت هذا الباب؛ لأن من اتبع النبي ﷺ لابد وأن يدعو إلىٰ الله، بل هذه صفتهم التي أمر الله نبيه أن يُخبر عنه، قال: (قُلْ) يعني: يا محمد، (هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِّ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي) فهذه خصلة أتباع الأنبياء، وهي أنهم لم يخافوا من الشرك فحسب، ولم يعلموا التوحيد ويعملوا به فحسب؛ بل أنهم دعوا إلىٰ ذلك.

وهذا أمر حتمي: لأن من عَرَفَ عِظَم حق الله جل وعلا فإنه يغار علىٰ حق الرب سبحانه وتعالىٰ أن يكون توجُّه الخلق إلىٰ غيره بنوع من أنواع التوجهات، فلابد -إذن- أن يدعو إلىٰ أصل الدين وأصل الملة الذي اجتمعت عليه الأنبياء والمرسلون، ألا وهو توحيده جل وعلا في عبادته، وفي ربوبيته، وفي أسمائه وصفاته.

❁ ما الشاهد في حديث معاذ رضي الله عنه «إِنّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاّ الله)، وفي رواية: (إلى أن يوحّدوا الله)؟ وما مناسبته للباب؟، مع ذكر الفوائد المستنبطة من الحديث؟.

موطن الشاهد من هذا الحديث: ومناسبة إيراده لهذا الباب هو ذكر أنَّ أول ما يُدعىٰ إليه هو (التوحيد) وهو (شـهادة أن لا إله إلا الله)، حيث أمر النبي ﷺ معاذا إذا دعا، أن يكون أول الدعوة إلىٰ (شهادة أن لا إله إلاَّ الله)، وفسَّرتها الرواية الأخرىٰ للبخاري، في كتاب التوحيد من صحيحه، قال: (إلىٰ أن يوحِّدوا الله)، فشهادة أن لا إله إلا الله هي الدعوة إلى التوحيد، وهي مأمورٌ بها، والنبي ﷺ أمر معاذا أن يدعو أهل اليمن وهم من أهل الكتاب؛ الذي هو التوراة والإنجيل؛ فبعضهم يهود وبعضهم نصارىٰ، أمَّا المشركون فهم فيهم قليل.

قال العلماء في قوله ﷺ لمعاذ: (إنّكَ تَأْتِي قَوْماً أَهْلَ كِتَابٍ)، فيه توطين وتهيئة له لنفس أن يستعدَّ لمناظرتهم، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه من علماء الصحابة، فقال له ﷺ ذلك؛ ليهيئ نفسه لمناظرتهم ولدعوتهم، ثم أمره أن يكون أول الدعوة إلى أن يوحدوا الله جل وعلا .

❁ ما موطن الشاهد في حديث النبي ﷺ لعليّ رضي الله عنه يوم خيبر؟ وما مناسبته للباب؟ مع ذكر الفوائد المستنبطة من الحديث؟

قوله ﷺ لعلي رضي الله عنه: (انفُذْ على رِسْلِكَ حتى تنزلَ بساحَتهم، ثم ادُعهم إلى الإِسلام)

هذا هو موطن الشاهد من الحديث.

ومناسبة إيراده في الباب: قوله ﷺ: (ثم ادُعهم إلى الإِسلام، وَأَخْبِرْهُم بما يَجِبُ عليهم من حقّ اللهِّ تعالى فيه) فإن الدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى التوحيد؛ لأن أعظم أركان الإسلام (شـهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله)، وضَمَّ إليها ﷺ أن يدعوهم أيضا إلى حق الله فيه؛ يعني: إلى ما يجب عليهم من حق الله فيه، يعني: في الإسلام من جهة التوحيد، ومن جهة الفرائض، واجتناب المحرَّمات، ولهذا يجب أن تكون الدعوة إلى الإسلام في أصلها وهو التوحيد، وبيان معنى الشهادتين، ثم بيان المحرمات والواجبات؛ لأن أصل الأصول هو المقدَّم، فهو أول واجب.

لاحظ: أن آية سورة يوسف فيها بيان أن كل الصحابة دعاة إلى التوحيد، وحديث معاذ فيه أن معاذا كان من الدعاة إلى الله، وفُصِّل فيه نوع تلك الدعوة إلى الله جل وعلا، وكذلك حديث سهل بن سعد الذي فيه قصة علي، فيه الدعوة إلى الإسلام، فيكون هذان الحديثان كالتفصيل في قوله في الآية: (**أَدْعُو إِلَى اللهِّ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**)، فالدعوة على بصيرة هي الدعوة إلى شـهادة أن لا إله إلا الله، والدعوة إلى ما يجب على العِباد من حق الله فيه.



باب تفسير التوحيد، وشهادة أن لا إله إلا الله

ما فائدة العطف في قوله (باب تفسير التوحيد وشهادةِ أن لا إله إلا الله) إذا كان التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله؟.

مرَّ معنا: أنَّ التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله.

ولهذا قال العلماء: أن العطف في قوله: (التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله) من عطف المترادفات؛ ولكن هذا فيه نظر، من جهة أن التَّرادف الكامل غير موجود، لكن الترادف الناقص موجود.

فيكون من قبيل عطف المترادفات بمعناها واحد؛ لكن يختلف بعضها عن بعض في بعض المعنىٰ.

فتفسير التوحيد: يعني الكشف والإيضاح عن معنىٰ التوحيد، وهو اعتقاد أن الله جل وعلا:

واحد في ربوبيته لا شريك له.

واحد في ألوهيته لا ند له.

واحد في أسمائه وصفاته لا مِثْل له سبحانه و تعالىٰ.

ويشمل ذلك أنواع التوحيد جميعا: فإذن التوحيد اعتقاد أن الله واحد في هذه الثلاثة أشياء.

و (**شهادة أن لا إله إلا الله**): يعني تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، التي هي أعظم كلمة قالها مكلَّف، ولا شيء أعظم منها؛ وذلك لأن معناها هو الذي قامت عليه الأرض والسماوات، وما تعبَّد المتعبدون إلا لتحقيقها ولامتثالها.

❁ ما معنى شهادة أن لا إله إلا الله؟ وما متضمناتها؟

الشهادة: تارة تكون شهادة حضور وبصر، وتارة تكون شهادة علم، يعني يشهد على شيء حضرَه ورآه، أو يشهد على شيء عَلِمَه.

هذان نوعان بمعنى الشهادة: فإذا قال قائل: (أشهدُ)، فيحتمل أنه سيأتي بشيء رآه أو بشيء علمه، و (أشهد أن لا إله إلا الله)، هذه شهادة علمية، ولهذا فقوله: أشهد، يفيد (العلم).

والشهادة في اللغة وفي الشرع تتضمن أشياء: **الأول**: الاعتقاد بما شهده وما سينطق به؛ (أشهد أن لا إلـه إلاَّ الله)؛ يعني: أعتقد بقلبي معنى هذه الكلمة، وهذا فيه (العلم واليقين)؛ لأن الشهادة فيها الاعتقاد، والاعتقاد لا يسمى اعتقادا إلاَّ إذا كان ثمَّ علم ويقين.

الثاني: التكلم بها: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾[آل عمران:١٨]، فصار اعتقاداً، وصار أيضاً إعلاماً ونطقا بها.

الثالث: الإخبار بذلك والإعلام به: فيَنطقه بلسانه من جهة الواجب، وأيضا لا يسمى شاهداً حتى يخبر غيره بما شهد.

فيكون أشهد أن لا إله إلاَّ الله، معناها: أعتقد وأتكلم وأُعلِم وأُخبِر بأن لا إله إلا الله، فافترقت -إذن- عن حال الاعتقاد، وافترقت -إذن- عن حال القول، وافترقت -إذن- عن حال الإخبار المجرد عن الاعتقاد، فلا بد من الثلاثة مجتمعة.

ولهذا نقول: الإيمان: اعتقاد الجنان، وقول اللسان، وعمل الجوارح والأركان.



و (لا إله إلاَّ الله)، التي هي كلمة التوحيد: مشتملة من حيث الألفاظ على أربعة ألفاظ:

الأول: لا. **الثاني**: إله. **الثالث**: إلاَّ. **الرابع**: لفظ الجلالة (الله).

أمَّا (لا): فهي النافية للجنس؛ تنفي جنس استحقاق الألوهية عن أحد إلاَّ الله جل وعلا، وإذا أتى بعد النفي (إلاَّ) –وهي أداة الاستثناء– صارت تفيد معنىً زائدا وهو الحصر والقصر.

فيكون المعنى: الإلـهية الحقة أو الإلـه الحق هو الله بالحصر والقصر، ليس ثمَّ إلـه حق إلاَّ هو دون مَن سواه.

وكلمة (إلـه): من جهة الوزن (فِعَال)، بمعنى مفعول، فإله معناها (المعبود)، ويدل على ذلك ما جاء في قراءة ابن عباس أنه قرأ في سورة الأعراف ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وِإلاهَتَكَ﴾، قال: لأن فرعون كان يُعبد، ولم يكن يَعبُد، فصوب القراءة بـ(وَيَذَرَكَ وإلاهَتَكَ) بمعنى (وعبادتك)، وقراءتنا وهي قراءة السبعة (وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ) يعني: آلهتك المتقدمين، **فهذا معناه**: أن ابن عباس فهم من الإلهة معنى العبادة.

فيكون الإله هو المعبود، (لا إلـه) يعني: (لا معبود)، ولا النافية للجنس هنا تحتاج إلى اسم وخبر؛ لأنها تعمل عمل إنَّ.

فأين خبر لا النافية للجنس؟

من المعلوم: أنّ المتقرر في علم العربية أن خبر لا النافية للجنس يكثر حذفه في لغة العرب وفي نصوص الكتاب والسنة؛ ذلك أن خبر لا النافية للجنس يُحذف إذا كان المقام يدل عليه، وإذا



كان السامع يعلم ما المقصود من ذلك، والخبر هنا معلوم، فيقدر الخبر بقولك (بحق) أو (حقٌّ)، (لا إله بحق) يعني: (لا معبود بحق إلا الله) أو (لا معبود حق إلا الله)، إن قدرت الظرف (بحق) فلا بأس، أو قدرت كلمة مفردة (حق) فلا بأس، هذا معنى كلمة التوحيد.

فيكون: كل من عُبد من دون الله جل وعلا عُبد بالباطل والظلم والطغيان والتعدي، وهذا يفهمه العربي من سماع كلمة (لا إلــه إلاَّ الله)، والتي فيها الجمع بين النفي والإثبات.

❁ ما مناسبة قوله تعالى ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾[الإسراء: ٥٧] للباب؟ وما معنى الدعاء؟ وما هي أقسامه؟.

هذه الآية تفسير للتوحيد: وذلك أننا عرّفنا التوحيد بأنه إفراد الله بالعبادة وهو توحيد الإلــهية، وهذه الآية اشتملت على الثناء على خاصة عباد الله؛ لأنهم وحدوا الله بالإلــهية، هذه مناسبة الآية للباب، فقد وصفهم الله جل وعلا بقوله: (أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ) و(يَدْعُونَ) بمعنى يعبدون، لأن الدعاء هو العبادة.

الدعاء هو العبادة وهو نوعان كما سيأتي تفصيله:

دعاءُ مسألة. ودعاءُ عبادة.

وقوله: (يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) (الْوَسِيلَةَ) هي القصد والحاجة؛ يعني أنَّ حاجاتهم يبتغونها إلى ربهم ذي الربوبية الذي يملك الإجابة.

فإذن ظهر من قوله: ﴿يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾، أن فيها تفسير التوحيد، وهو أن كل حاجة من الحاجات إنما تُنزلها بالله جل وعلا، فلا يعبدون بنوع من العبادات ويتوجهون به لغير الله، علمت أن هذه الآية دالة بظهور على أن قوله: ﴿يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ أنه هو بالتوحيد.

وقد استشكل بعض أهل العلم إيراد هذه الآية في هذا الباب، وقال: ما مناسبة هذه الآية لهذا الباب؟ وبما ذكرتُ لك تتضح المناسبة جليا.

قال جل علا: ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾، وهذه حال خاصة عباد الله، أنهم جمعوا بين العبادة وبين الخوف وبين الرجاء فيرجون رحمته ويخافون عذابه، وهم إنما توجهوا إليه وحده دونما سواه، فأنزلوا الخوف والمحبة والدعاء والرغب والرجاء في الله جل وعلا وحده دونما سواه، وهذا هو تفسير التوحيد.

❁ ما وجه الاستدلال في قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾[الزخرف]، وما مناسبتها للباب؟، وما معنى البراءة، وهل هي من أصل كلمة التوحيد؟.

وجه الاستدلال من هذه الآية: في قوله ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعۡبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾، فهذه الجملة فيها البراءة وفيها الإثبات؛ البراءة مما يعبدون، وإثبات العبودية لله وحده.

قال بعض أهل العلم: تبرأ من العبادة، ومن المعبودين، قبل أن يتبرأ من العابدين؛ لأنه إذا تبرأ من أولئك فقد بلغ به الحَنَق والكراهة والبغضاء والكفر بتلك العبادة مبلغها الأعظم، وقد جاء تفصيل ذلك في آية الممتحنة كما هو معلوم، فمناسبة هذه الآية للباب: أن قوله (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) اشتملت على نفي وإثبات، فهي مساوية لكلمة التوحيد؛ بل هي دِلالة كلمة التوحيد، ففي هذه الآية: تفسير شهادة أن لا إلـه إلا الله، ولهذا قال جل وعلا بعدها (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ) وهذه الكلمة هي قول: (لا إلـه إلا الله)، كما عليه تفاسير السلف.

فتفسير شهادة أن لا إله إلاَّ الله في هذه الآية:

(لا إلـه) معناها (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ). (إلاَّ الله) معناها (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي).

والبراءة من المعبودين: هي: الكفر بهم، والبغضاء والمعاداة لهم، تبَّرأ مِن عبادة غير الله، إذا أبغضها وكفر بها وعاداها، وهذه لابد منها، ولا يصح إسلام أحد حتى تقوم هذه البراءة في قلبه؛ لأنه إن لم تقم هذه البراءة في قلبه فلا يكون موحداً.

أمَّا البراءة من العابدين: فإنها من اللوازم، وليست من أصل كلمة التوحيد، فقد يُعادي وقد لا يعادي، وهذه لها مقامات: منها ما هو مُكفِّر، ومنها ما هو نوع موالاة ولا يصل بصاحبه إلى الكفر.



وتحصَّل لك البراءة: والتي هي مضمنة في النفي (لا إله) ببُغض عبادة غير الله، والكفر بعبادة غير الله، والعداوة لعبادة غير الله، وهذا القَدْرُ لا يستقيم إسلام أحد حتى يكون في قلبه.

وقوله: (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) هذا استثناء، كما هو الاستثناء في كلمة التوحيد (لا إلـه إلاَّ الله).

قال بعض أهل العلم: (إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي) ذكر الفَطْر دون غيره؛ لأن في ذلك التذكير بأنه إنما يستحق العبادة من فَطَرَ، أمَّا مَن لم يفطِر ولم يخلق شيئا فإنه لا يستحق شيئا من العبادة.

❁ في قوله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[التوبة:٣١] ما معنى أرباباً؟

(أَرْبَابًا) جمع رب: والربوبية هنا هي العبادة؛ يعني: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم معبودين، (مِنْ دُونِ اللَّهِ)؛ يعني مع الله، وذلك لأنهم أطاعوهم في تحليل الحرام، وتحريم الحلال، والطاعة من التوحيد، وهي فَرْدٌ من أفراد العبادة، بأن يطيع العابد معبوده في التحليل والتحريم، فإذا أطاع غير الله في التحليل والتحريم فإنه قد عبد ذلك الغير، فهذه الآية فيها ذكر أحد أفراد التوحيد وهو الطاعة، وسيأتي إيرادها في باب مستقل، مع بيان ما تشتمل عليه من المعاني.

❁ ما وجه الاستدلال في قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[البقرة:١٦٥]؟.

وجه الاستدلال من الآية و مناسبتها للباب ظاهرة: أن التشريك في المحبة منافٍ للتوحيد من أصله؛ وصفهم الله تعالى فقال: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا)، أي: في المحبة، والمحبة مُحَرِّكَة، وهي التي تبعث على التصرفات، والمحبة نوع من أنواع العبادة، ولما لم يفردوا



الله بهذه العبادة، صاروا متخذين أنداداً من دون الله وهذا معنى التوحيد، ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله جل و علا: (يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللّهِ) يعني يحبونهم محبة مثل محبتهم لله، وهذا الوجه أرجح من الوجه الآخر الذي تقديره يحبونهم كحب المؤمنين لله.

وهذا التساوي هو الشرك: والتسوية هذه هي التي جعلتهم من أهل النار، كما قال جل و علا في سورة الشعراء مخبرا عن قول أهل النار ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:٩٧-٩٨]، ومعلوم أنهم ما سوَّوْا تلك الآلهة برب العالمين في الخَلق والرِّزق و مفردات الربوبية، و إنما سووهم برب العالمين في المحبة و العبادة.

❁ ما وجه الاستدلال في الحديث «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى اللّهِ عز وجل»؟

في هذا الحديث بيان التوحيد و شهادة أن لا إلا الله: ذلك أن ثمة فرقٌ بين قول (لا إله إلا الله) و بين (التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) فالتوحيد و الشهادة أرفع درجة، ومختلف عن مجرد القول، وهذا الحديث فيه قيد زائد عن مجرد القول؛ قال عليه الصلاة والسلام (مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ)، وهو عطف (وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللّهِ) على ما قبلها.

والمقصود: أن يكون العطف هنا عطف تفسير؛ لأن ما بعدها داخل في ما قبلها، وهذا تفسير لقوله (لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ)، فتكون (لاَ إِلَهَ إِلاّ اللّهُ) متضمنة للكفر بما يعبد من دون الله، وهذا هو

معنى البراءة في آية الزخرف (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي)، وهذا تفسير ظاهر لكلمة التوحيد، وهذا هو الأظهر والأنسب لسياق الشيخ رحمه الله تعالى؛ بل هو الذي يتوافق مع ما قبله من الأدلة، أنها عطف تفسير، وليست عطف خاص بعد عام.

وقوله ﷺ: (حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ) ذلك أنه صار مسلما، والمسلم لا يحل دمه إلا بإحدى ثلاث، ولا يحل ماله؛ ولهذا قال: (حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ).

فيظهر لك من هذه الترجمة وما فيها من الآيات والحديث: أنَّ تفسير التوحيد، وتفسير شهادة أن لا إله إلا الله، يحتاج منك إلى مزيد عناية، ونظر، وتأمل، وتأنِّي، حتى تفهمه بحجته، وببيان وجه الحجة فيه.

باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه

❁ ما فائدة تقديم الكلام على ما يضاد التوحيد قبل بيان حقيقة التوحيد؟

لبيان حقيقة التوحيد نبدأ ببيان ما يضاده. ومن المعلوم أن الشيء يُعرف ويتميز بشيئين:

١/ بحقيقته. ٢/ بمعرفة ضده. فالتوحيد يتميز بمعرفة معناه وأفراده، وبمعرفة ضده أيضا

فالتوحيد إنما يعرف حسنه بمعرفة قبح الشرك. والإمام رحمه الله بدأ بذكر ما هو مضاد للتوحيد.



❁ ما هي أنواع ما يضاد التوحيد؟

ما يضاد التوحيد نوعان:

- ما يضاد أصله، وهو الشرك الأكبر الذي إذا أتى به المكلَّف، فإنه ينقض توحيده؛ فيكون مشركا شركا أكبر مخرجا من الملة، فهذا ينافي أصل التوحيد.

- والثاني ما ينافي كمال التوحيد الواجب: وهو ما كان من جهة الشرك الأصغر فينافي كماله، فإذا أتى بشيء منه فقد نافى بذلك كمال التوحيد؛ لأن كمال التوحيد إنما يكون بالتخلص من أنواع الشرك جميعا، كالرياء مثلا فإنه من أفراد الشرك الأصغر؛ فينافي كمال التوحيد. وهناك أشياء يقول العلماء فيها أنها نوع شرك، أو نوع تشريك.

❁ ما ألفاظ العلماء فيما يضاد التوحيد؟

ألفاظ العلماء فيما يضاد التوحيد أربعة:

الأول: الشرك **الأكبر**. **الثاني**: الشرك **الأصغر**. **الثالث**: الشرك **الخفي**.

الرابع: قولهم **نوع شرك أو نوع تشريك**: مثل قوله جل وعلا ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[النحل:٨٣].

❁ ما فائدة ذكر صور الشرك الأصغر قبل الأكبر؟

بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في تفصيل الشرك ببيان صور من الشرك الأصغر التي يكثر وقوعُها، فقال: (**بابٌ من الشرك لبس الحلقة أو الخيط ونحوهما**).

وقدَّم الأصغر على الأكبر انتقالا من الأدنى إلى الأعلى؛ لأن الشبهة في الأدنى ضعيفة بخلاف الشبهة في الأعلى؛ يعني أن تعلق المتعلق بالخيط أو التميمة شبهته أضعف، فتعلق ذلك المتعلق بغير الله إذا وَعَى أنه تعلق بغير الله فإنه يكون مقدمة مهمة ومنتِجة للمطلوب في إقناعه بأنَّ التعلق بغير الله في الشرك الأكبر أشد قبحا.

أمّا إذا أتى إلى ما هو من جهة الشرك الأكبر كالتعلق بالأولياء ودعائهم وسؤالهم، أو الذبح للجن أو الذبح للأولياء فإنه يكون هناك شبهة؛ وهي أنّ أولئك لهم مقامات عند الله جل وعلا، والناس الذين يتوجهون إلى أولئك ويشركون بهم الشرك الأكبر المخرج من الملة – والعياذ بالله–، يقولون: هؤلاء لهم مقامات عند الله، وإنما أردنا الوسيلة، كحال المشركين في زمن النبي ﷺ الذين قال الله جل وعلا فيهم ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣].

فبدأ الشيخ رحمه الله بما هو من الشرك الأصغر انتقالا من الأدنى إلى الأعلى، حتى يكون ذلك أقوى في الحجة وأمكن في النفوس من جهة ضرورة التعلق بالله وإبطال التعلق بغيره.

❁ هل لبس الحلقة أو الخيط ونحوهما من بعض أفراد الشرك أم من بعض أنواعه؟ وهل هي من الشرك الأكبر أم الأصغر؟

في قوله رحمه الله: (**بابٌ من الشرك**) (**مِن**) هنا تبعيضية؛ يعني هذه الصورة التي في الباب هي من بعض أفراد الشرك وكذلك أنواعه.

فما ذُكر وهو لبُس الحلقة أو الخيط هو أحد نوعي الشرك وهو الشرك الأصغر، وهو كذلك أحد أفراد الشرك بعمومه؛ لأنها صورة من صور الإشراك.

ولبس الحلقة أو الخيط ونحوهما مثل الخرز والتمائم والحديد، ونحو ذلك مما قد يلبس، أو يعلق في البيوت أو في السيارات أو على الصغار، كل ذلك يدخل في هذا الباب وهو من الشرك.

❁ ما تعريف الحلقة والخيط؟، وما الذي كانت تعتقده العرب في تعليقهما؟ ولماذا اعتبرا من الشرك الأصغر؟

(الحلْقة) إمّا أن تكون من صُفْرٍ يعني من نحاس، وإمّا أن تكون من حديد، أو تكون من أي معدن، و**(الخيط)** مجرد خيط يعقده في يده وهو معروف.

والحلقة والخيط كان للعرب فيهما اعتقادات، وفي أشباههما مثل التمائم وغيرها، فكانوا يعتقدون أن من تعلق شيئا من ذلك أثَّر فيه ونفع.

- إمَّا من جهة دفع البلاء قبل وقوعه.
- و إمَّا من جهة رفع البلاء أو المرض بعد وقوعه.

ولهذا قال الشيخ رحمه الله **(لرفع البلاء أو دفعه)** لأن الحالتين موجودتان.

- منهم من يعلق قبل أن يأتي البلاء ليدفعه، وهذا أعظم، أن يعلق أو يلبس خيطا أو حلقة ليدفع الشيء قبل وقوعه؛ لأنه يعتقد أن هذه الأشياء الخسيسة أو الوضيعة تدفع قدر الله جل وعلا.
- ومنه من يلبسها أو يعلقها ليرفع البلاء بعد حصوله؛ يمرض فيلبس خيطا ليرفع ذلك المرض، أصابته عين فيلبس الخيط ليرفع تلك العين، وهكذا في أصناف شتى من أحوال الناس في ذلك.

و (**لُبس الحلقة أو الخيط ونحوهما**) من الشرك الأصغر؛ لأنه تعلّق قلبُه بها وجعلها سببا لرفع البلاء أو سببا لدفعه.

❁ما القاعدة الشرعية في إثبات الأسباب المؤثرة؟، وما مقصود المؤلف من ذلك الباب؟

القاعدة في إثبات الأسباب المؤثرة أنها لا تجوز: إلاَّ بقيدين:

- أن يكون من جهة الشرع، فلا يجوز إثبات سبب إلا أن يكون سبباً شرعياً.
- أو أن يكون سبباً قد ثبت بالتجربة الواقعة أنه يؤثر، ظاهراً لا خفيًّا.

فمن لبس شيئاً لدفع البلاء أو رفعه فإنه جعل سببا ليس بمأذون به في الشرع، وكذلك من جهة التجربة، فلا يحصل ذلك -وهو دفع البلاء أو رفعه بلبس الخيط أو الحلقة ونحوهما- على وجه الظهور؛ وإنما هو مجرد اعتقاد ممن لبس في هذا الشيء، وقد يوافق القدر أنه يشفى حين يلبس أو بعد لبسه، أو يُدفع عنه أشياء يعتقد أنها ستأتيه، فيبقى متعلقا فبتلك الأشياء، ويثبت أنها من الأسباب، وهذا باطل.

فصار لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه من الشرك الأصغر؛ لأن مَن يلبسها يتعلق قلبه بها ويجعلها تدفع أو تنفع، أو يجعلها مما يؤثر في رفع الضرر عنه أو في جلب المنافع له، وهذا إنما يستقل به الله جل وعلا وحده.

وأما الأسباب التي تكون سببا لمسبباتها: فهذه لابد أن يكون مأذونا بها في الشرع، ولهذا فإن بعض العلماء يعبر عما ذكرنا بقوله: من أثبت سببا -يعني يُحدث النتيجة- لم يجعله الله سببا لا شرعا ولا قَدَرَاً، فقد أشرك؛ يعني الشرك الأصغر، وهذه القاعدة في الجملة صحيحة.



وعماد هذا الباب ومقصوده بيان الشرك من جهة تعلق القلوب ؛ وأن إثبات الأسباب لابد أن يكون إما من جهة الشرع، وإمّا من جهة التجربة الظاهرة، مثل دواء الطبيب، والانتفاع ببعض الأسباب التي فيها الانتفاع الظاهر؛ كالتدفئة بالنار أو التبرد بالماء، أو نحو ذلك، فهذه كلها أسباب ظاهرة بيّن أثرها؛ لكن إن كان السبب من جهة التعلق الذي لم يأذن به الشرع فإنه يكون نوع شرك أصغر إذا كان لدفع البلاء أو لرفعه.

❁ متى يصير تعليق الخيط والتمائم شركا أكبر؟ ولماذا؟

كل أصناف الشرك الأصغر قد تكون شركا أكبر بحسب حال من فعلها.

فلبس أو تعليق التمائم والحلف بغير الله، وقول ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك من الأقوال والأعمال والاعتقادات الأصل فيها أنها من الشرك الأصغر، **وقد تكون شركا أكبر بحسب الحال**؛ كأن يعتقد في الحلقة والخيط ونحوهما أنها تؤثر بنفسها، فهذا من الشرك الأكبر، بأن يعتقد أنها ليست سببا؛ وإنما هي تؤثر بنفسها؛ فتدفع المرض بنفسها، وتدفع العين بنفسها، أو ترفع المرض بنفسها، أو ترفع العين بنفسها؛ لأنه جعل التصرف في هذا الكون لأشياء مع الله جل وعلا، ومعلوم أن هذا من أفراد الربوبية، فيكون ذلك شركا في الربوبية.

❁ قوله تعالى ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ ما المقصود من الاحتجاج بمعبودات الكفار الباطلة؟، وما طريقة القرآن في الاحتجاج على المشركين؟

العلماء يقولون: إذا جاءت الفاء بعد همزة الاستفهام فإنها تكون عاطفة على جملة محذوفة يدل عليها السياق.

وهذه الآية أولها: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ﴾[الزمر:٣٨].

يعني: قل أتُقِرُّون بأن الذي خلق السماوات والأرض هو الله وحده، فتدعون غيره؟ وتتوجهون لغيره؟ أتقرون بذلك، ثم أنتم تفعلون هذه الأشياء؟.

أو يكون التقدير: أتقرون بأن الله هو الواحد في ربوبيته، وهو الذي خلق السموات والأرض وحده، إذا أقررتم بهذا، فهل رأيتم هذه الأشياء التي تتوجهون لها من دون الله هل تدفع عنكم المضار؟ أو تجلب لي ضرا؟ أو تجلب لكم رحمة من دون إذن الله عز وجل؟، فتكون الفاء في قوله (**أَفَرَأَيْتُمْ**)، ترتيبية، رتبت ما بعدها على ما قبلها، وهذا هو المقصود من الاحتجاج بمعبودات الكفار.

وكذلك فإن طريقة القرآن أنه يحتج على المشركين بما أقروا به من توحيد الربوبية، على ما أنكروه من توحيد الإلهية، وهم قد أقروا لله تعالى بالربوبية، فرتب على إقرارهم هذا أنهم يلزمهم أن يبطلوا عبادة غير الله جل وعلا.

ما الدعاء المقصود في قوله تعالى ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

الدعاء المقصود في الآية هو **دعاء المسألة، ودعاء العبادة** لأنها حالتان من أحوال أهل الإشراك بالله.



❁ ما هي أصناف المعبودات من دون الله التي أشار إليها القرآن الكريم؟

جاء في القرآن بيان أن الأصناف التي أشرك بها من دون الله جل وعلا وتوجه لها بالعبادة أنواع:

الأول: الأنبياء بعض الأنبياء والرسل والصالحون كما قال جل وعلا في آخر سورة المائدة ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾[المائدة:١١٦] الآيات، فهذا في هذا النوع. **الثاني**: الملائكة كما جاء في آخر سورة سبأ بيان ذلك ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ سبأ

الثالث: الكواكب؛ كالشمس والقمر.

الرابع: الأشجار والأحجار.

الخامس: الأصنام والأوثان.

❁ ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ هذه الآية في الشرك الأكبر، فكيف يصح إيرادها في الشرك الأصغر؟.

بيان كون الآية في الشرك الأكبر، وسبب إيرادها في الشرك الأصغر، من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ إيراد الآيات في الشرك الأكبر من جهة معناه، وهو التعلق بغير الله جل وعلا، ووجوب التعلق بالله جل وعلا وحده، وهو مما يورده السلف فيما هو من الشرك الأصغر.



فالآيات التي في الشرك الأكبر تورَد في إبطال الشرك الأصغر، بجامع أن في كلا الشركين تعلُّق بغير الله جلّ وعلا، فإذا بطل التعلق في الأعظم بطل التعلق فيما هو دونه من باب أولى.

الوجه الثاني: أن هذه الآية في الشرك الأكبر؛ ولكن المعنى الذي دارت عليه هو:

- إبطال إضرار أحدٍ من دون الله.
- وأنَّ الله إذا أصاب أحداً بضُر، فليس هناك من يستطيع أن يرفعه بدون إذنه جل وعلا، أو إذا أراد الله رحمة فليس هناك من يصرف تلك الرحمة بدون إذنه جل وعلا.
- التعلق بما يضر وبما ينفع، هو المعنى الذي من أجله تعلَّق المشرك شركاً أصغر بالحلقة و بالخيط؛ لأنه ما علَّق الخيط ولا علق الحلقة أو لبس الحلقة والخيط إلا" لأنه يعتقد أن في الحلقة تأثيرا من جهة رفع البلاء أو دفع الضر، وأنها تجلب النفع وتدفع الضر، وهذه الأشياء مهينة أشياء وضيعة، فإذا نفي عن الأشياء العظيمة كالأنبياء والمرسلين والملائكة والصالحين أو الأوثان، فإن انتفاء النفع والضر عما سواها مما هو أدنى لاشك أنه أظهر في البرهان وأبين.
- وقوله: (**بِضُرٍّ**) هنا، هي نكرة في سياق الشرط، وهذا يعم جميع أنواع الضرر؛ فيعني: أن غير الله جل وعلا لا يستطيع أن يرفع ضرا أنزله الله جل و علا إلاَّ بإذنه سبحانه.



❀ في الحديث عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ أَنّ النّبِيّ ﷺ رَأَى رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةً مِنْ صُفْرٍ. فَقَالَ: «مَا هَذِهِ؟» قَالَ: مِنَ الْوَاهِنَةِ..» فهل الاستفهام من النبي ﷺ استفهام إنكار أم استفصال؟ وما فائدة الاستفصال؟، وما هي الواهنة؟.

من أهل العلم من قال: إنه استفهام إنكار؛ ولكن الرجل لم يفهم أنه إنكار، وفهم أنه استفصال، ولذلك أجاب، فقال: (**مِنَ الْوَاهِنَةِ**).

وقال آخرون: قوله عليه الصلاة و السلام (**مَا هَذِهِ؟**) يحتمل أن يكون استفهام استفصال، أو استفهام إنكار، فلهذا أجاب الرجل فقال: (**مِنَ الْوَاهِنَةِ**).

والاستفهام على القول الأول: هو للإنكار الشديد، وهو الأظهر من حيث دلالة السياق عليه؛ لأن النبي ﷺ ما ذَكر الحالة الأخرى.

والحالة الأخرى التي يمكن أن يكون لبسها من أجلها: هي أن تكون للزينة، والتزين بالصفر غير أن يلبسه لدفع البلاء أو رفعه.

والمقصود: أن الاستفصال في قوله (**مَا هَذِهِ؟**) لا يعني أنه يحتمل أن يكون اللُّبس شركا ويحتمل أن يكون اللبس غير شرك؛ ولكن هذا للإنكار، وإذا كان استفهام استفصال فإنه لأجل أنه قد يلبس لأجل التزين، لا لأجل تعلق القلب بذلك، فلما أجاب (**مِنَ الْوَاهِنَةِ**) تعيَّن على كلا القولين أنه لبسها لأجل تعلقه بها لرفع المرض أو لدفعه.

الواهنة: هي نوع مرض من الأمراض يَهن الجسم ويطرحه ويُضعف قواه.

❁ ما المستفاد من قوله ﷺ للرجل (انْزِعْهَا فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْناً)؟

في قوله ﷺ للرجل: (**انْزِعْهَا**) **فائدة**: **وهي**: أن هذا أمر، وإنكار المنكر يكون باللسان إذا كان المأمور به يطيع الأمر، فإنك تأمره باللسان ولا تنكر عليه باليد، والنبي عليه الصلاة والسلام له وِلاية، ويستطيع أن ينزع هذا المنكر بيده؛ لكنه علم من حال ذلك الرجل أنه سوف يمتثل الأمر، فقال له (**انْزِعْهَا**).

فلا تعارض بين هذا: وبين ما سيأتي من أنَّ حُذيفة رضي الله عنه قطع خيطا من رجل، فإن ذلك مبني على حال أخرى.

وفي قوله ﷺ: (**فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْناً**) **فائدة وهي**: أن ضررها أقرب من نفعها، وهذا في جميع أنواع الشرك، فإن ما أشرك به ضرره أعظم من نفعه لو فُرض أن فيه نفعا.

وفي قوله ﷺ: (**فَإِنّهَا لاَ تَزِيدُكَ إِلاّ وَهْناً**) **فائدة**: قال العلماء: يعني لو كان فيها أثر، فإن أثرها الإضرار بدنياً، وإن أثرها أيضا الإضرار روحيا ونفسيا، حيث تُضعِف الروح والنفس عن مقابلة الوهن والمرض؛ لأنه يكون المرء أضعف، ويتعلق بهذه الحلقة أو بذلك الخيط، وهذا حال كل من أشرك، فإنه مِن ضرر إلى ضرر أكثر منه، ولو ظن أنه في انتفاع.

❁ ما الفلاح المنفي في قول النبي ﷺ للصحابي (فإنَّكَ لوْ مِتَّ وهي عليْك، ما أَفْلَحتَ أبداً)؟

هذا القول منه عليه الصلاة والسلام؛ **يحتمل معنيان**، لأن حال المعلِّق يختلف:

١/ قد يكون علقها اعتقادا فيها استقلالا.

٢/ وقد يكون علقها من جهة التسبب.

فيكون الفلاح المنفي على قسمين:

القسم الأول: الفلاح المنفي هو الفلاح المطلق، وهو دخول الجنة والنجاة من النار، وهذا في حال من أشرك الشرك الأكبر بأن اعتقد أن تلك الحلقة من الصفر أو ذلك الخيط الذي يعلق بأنه ينفع استقلالا.

القسم الثاني: المنفي نوع من الفلاح أو مطلق الفلاح؛ أو درجة من درجات الفلاح ذلك إذا كان فاعله جعل سببا مما لم يجعله الله جل وعلا سببا لا شرعا ولا قدرا؛ يعني كان مشركا الشرك الأصغر، فإنه يكون الفلاح هنا المراد به مطلق الفلاح؛ يعني درجة من درجات الفلاح.

❁ ما الفرق بين مصطلح مطلق الشيء والشيء المطلق؟

يكثر في كتب أهل العلم وخصوصا علم التوحيد ذكر هذين المصطلحين:

الأول: مطلق الشيء.

والثاني: الشيء المطلق.

فالشيء المطلق: هو الكامل، الإيمان المطلق هو الكامل، الإسلام المطلق هو الكامل، التوحيد المطلق هو الكامل، الفلاح المطلق هو الكامل.

أما **مطلق الشيء**: فهو أقل درجاته أو درجة من درجاته، فمطلق الإيمان هذا أقل درجاته.

فنقول مثلا: هذا ينافي الإيمان المطلق؛ يعني ينافي كمال الإيمان، أو نقول: هذا ينافي كمال الإيمان، أو نقول: ينافي مطلق الإيمان. ينافي أقل درجات الإيمان فهو ينافي الإيمان من أصله.

❁ ما هي التميمة؟ وما المقصود بقول النبي ﷺ: «من تعلَّق تميمةً فلا أتمَّ الله له»؟

التميمة: هي نوع خرزات وأشياء توضع علىٰ صدور الصغار، أو يضعها الكبار لأجل دفع العين أو دفع الضرر أو الحسد، أو أثر الشياطين ونحو ذلك.

والمقصود من هذا الحديث: هو ذِكر لفظ التعلق، و(**تعلَّق**) يعني أنه علَّق شيئاً وتعلَّق قلبُه بما علَّق. **وقوله ﷺ**: (**فلا أتمَّ الله له**) **هو دعاء منه** ﷺ علىٰ من فعل ذلك ألاَّ يُتم الله له؛ لأن التميمة أُخذت من تمام الأمر، وسُميت تميمة لأنه يُعتقد فيها أنها تتم الأمر، فدعا عليه ﷺ بأن لا يتم الله جلّ وعلا له المراد.

❁ما معنى الودع؟ وهل تعليقها من الشرك الأصغر أم الأكبر؟

الودع: هو نوع من الصَدَفَة والخرز يوضع علىٰ صدور الناس، أو يُعلَّق علىٰ العضد ونحو ذلك؛ لأجل دفع العين أو رفعها ونحوها من الآفات.

وتعليق التمائم والودع: والتعلق بهما شرك أصغر بالله جل وعلا وقد يكون أكبر بحسب الحال

❁ ما المقصود من قوله ﷺ (ومن تعلَّق ودعة، فلا ودَعَ الله له)؟

معنى قوله ﷺ (**فلا ودَعَ الله له**) يعني فلا تركه وفعله هذا، ولا جعله في دَعَةٍ وسكون وراحة، ودعاؤه عليه الصلاة والسلام عليه بذلك، لأنه أشرك بالله جل وعلا.



❁ عن حذيفة رضي الله عنه: أنه رأى رجلاً في يده خيط مِنَ الحُمَّى، فقطعه، وتلا قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾، ما مناسبة هذا الحديث أو الأثر للباب؟، وهل هو في الشرك الأكبر أم الأصغر؟ وهل ينجي توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية؟

مناسبة هذا الحديث أو الأثر للباب ظاهرة: فقوله: (مِنَ الحُمَّى)، (مِنَ) هنا تعليلية؛ يعني علَّق الخيط لأجل رفع الحمى أو لأجل دفع الحمى وهو من الشرك.

وهذا الدليل في الشرك الأكبر: وقد قال المصنف رحمه الله فيه: أن الصحابة يستدلون بما نزل في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر.

قال السلف في هذه الآية: (**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ**) يعني بأنه هو الرب وهو الرزاق وهو المحيي وهو المميت؛ يعني توحيد الربوبية، (**إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ**) به جل وعلا في العبادة، فليس توحيد الربوبية بمُنْجٍ وحده، بل لا بد أن يوحد الله في العبادة.

باب ما جاء في الرقى والتمائم

❁ لماذا قال فيه شيخ الإسلام رحمه الله (باب ما جاء في الرقى والتمائم)، ولم يقل: باب من الشرك الرقى والتمائم كما قال (باب من الشرك لبس الحلقة والخيط)؟

لأن الرقى **منها ماهو جائز مشروع ومنها ما هو شرك**، والتمائم منها ما هو متفق عليه أنه شرك ومنها ما قد اختلف الصحابة فيه هل هو من الشرك أم لا، وهذا **من أدب التصنيف العالي**.

❁ ما هي الرقى؟ وهل رخص فيها الشرع؟

الرقى: جمع رقية، والرقية معروفة قد كانت العرب تستعملها، وحقيقتها أنها أدعية وألفاظ تقال أو تتلى ثم ينفث بها، ومنها ما له أثر عضوي في البدن، ومنها ما له أثر على الأرواح، ومنها ما هو جائز مشروع، ومنها ما هو شرك.

وقد رخص الشرع في الرقى التي ليس فيها شرك؛ وقد قال بعض الصحابة للنبي عليه الصلاة والسلام يسأله عن الرقى فقال «**اعْرِضُوا عليّ رُقَاكُمْ. لاَ بَأْسَ بِالرّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكٌ**». والنبي عليه الصلاة والسلام رَقَى ورُقِيَ؛ رقى غيره ورقى نفسه عليه الصلاة والسلام ورُقي أيضا؛ رقاه جبريل ورقته عائشة ونحو ذلك.

❁ ما هي شروط الرقية الجائزة شرعا؟

قال العلماء : الرقية تجوز بثلاثة شروط:

الأول : أن تكون بالقرآن أو بأسماء الله أو بصفاته. وقال بعض العلماء يجوز الرقية بما ثبت في السنة.

الثاني: أن تكون بالكلام العربي أي بلسان عربي معلوم؛ يُعلم معناه.

والثالث: أن لا يعتقد أنها تنفع بنفسها؛ بل الله جل وعلا هو الذي ينفع بالرقى.

❁ اذكر بعض صور التمائم؟ وهل كل التمائم محرمة؟

التمائم تجمع كل ما يُعلق أو يُتخذ مما يراد منه تتميم أمر الخير للعبد أو دفع الضرر عنه، ويعتقد فيه أنه سبب، ولم يجعل الله جل وعلا ذلك الشيء سببا لا شرعا ولاقدرا.

ومن صور التمائم: أن يعلق جلدا خاصا على الصدر، أو يكون فيه أذكار وأدعية وتعوذات، أو خرزات وحبال تعلق على الصدر أو في العضد، أو يُجعل في السيارة رأس دب مثلا، أو أرنب أو حذوة الفرس أو يضع خرزا على المراية الأمامية، أو مسبحة على شكل معين من خشب ونحو ذلك، أو يلبس سلسلة وعليها شكل عين صغيرة، أو يعلق على مدخل البيت رأس ذئب أو رأس غزال، أو يضع على مَطْرَق الباب حذوة فرس.

ومن يقول أعلق ولا أستحضر هذه المعاني؛ بل أعلق هذا في السيارة للزينة، وأعلق في البيت للجمال، ونحو ذلك من قول طائفة قليلة من الناس.

نقول له: **إن علّق التمائم للدفع أو الرفع فإنه شرك أصغر إن اعتقد أنها سبب، وإن علقها للزينة فهو محرَّم لأجل مشابهته من يشرك الشرك الأصغر.**

فإذن دار الأمر على أن التمائم كلها منهي عنها، سواء اعتقد فيها أو لم يعتقد؛ لأن حاله إن اعتقد فهو في شركٍ أصغر، وإن لم يعتقد فإنه شابه أولئك المشركين، وقد قال عليه الصلاة والسلام «**مَنْ تَشَبّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**».



❀ في الحديث عن ابن مسعود ﷺ، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنّ الرّقَى وَالتّمَائِمَ وَالتّوَلَةَ شِرْك» فهل يعني ذلك أن كل الرقى والتمائم والتولة شرك؟

هذا **الحديث أفاد أن كل الرقى من الشرك، وأن كل التمائم من الشرك وأن كل التولة من الشرك، لكن هذا العموم خُص في الرقى بالنص وحدها،** لقوله «**لاَ بَأْسَ بِالرّقَى مَا لَمْ يَكُنْ شِرْكٌ**» وبأن النبي عليه الصلاة والسلام رقى ورُقي عليه الصلاة والسلام. فدلّ الدليل على أنّ العموم هاهنا مخصوص، وليس كل أنواع الرقية شرك؛ بل بعض أنواع الرقية وهي التي اشتملت على شرك.

أما التمائم والتولة فلم يأت دليل يخص نوعا من نوع؛ بل يبقى هذا اللفظ على عمومه، فإن العموم يجب أن يبقى؛ لأن التخصيص شرع، وهذا الشرع لابد أن يأتيَ من الشارع، فنبقي العموم على عمومه.

❀ ما هي التولة؟ وما وجه حرمتها؟ وهل كل التولة شرك؟

التّوَلَةَ: شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى زوجه، فهو يُصنع فيجلب شيئا ويدفع شيئا بحسب اعتقادهم، وهي في الحقيقة نوع من أنواع التمائم، ويسمى عند العامة الصرف والعطف.

ووجه حرمتها أنها من السحر لأنها تُصنع ويكون الساحر هو الذي يرقي فيها الرقية الشركية، فيجعل المرأة تحب زوجها أو يجعل الرجل يحب زوجته، والسحر شرك بالله جل وعلا وكفر، وهذا عموم **فكل أنواعه شرك.**

❁ هل تعليق القرآن شرك؟

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: **إذا كان المعلَّق من القرآن فرخّص به بعض السلف.** فقال بعض كبار الصحابة ومال إليه بعض أهل العلم الكبار، وبعضهم لم يرخص فيها كابن مسعود ﷺ وكأصحاب ابن مسعود الكبار إبراهيم وعلقمة وعَبِيدة والربيع ابن خثيم والأسود وأصحاب ابن مسعود جميعا.

والقاعدة أن السلف من الصحابة ومن بعدهم إذا اختلفوا في مسألة وجب الرجوع فيها إلى الدليل.

والدليل دلَّ على أن كل أنواع التمائم منهي عنها (مَنْ تَعَلّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ)؛ (إِنّ الرّقَى وَالتّمائمَ وَالتّوَلَةَ شِرْك)، فمن تعلَّق القرآن؛ كان داخلا في المنهيِّ عنه؛ **لكن لمّا كان معلّقا للقرآن فإنه لم يشرك** لأنه علق شيئا من صفات الله جل وعلا وهو كلام الله جل وعلا، فما أشرك مخلوقا؛ لأن الشرك معناه أن تشرك مخلوقا مع الله جل وعلا، والقرآن ليس بمخلوق؛ بل هو كلام الباري جل وعلا منه بدأ وإليه يعود.

❁ هل نهى الشرع عن تعليق القرآن؟

قال عليه الصلاة والسلام **(مَنْ تَعَلّقَ شَيْئاً وُكِلَ إِلَيْهِ)** ونهى عن التمائم بأنواعها، فدلَّ ذلك على أن تخصيص القرآن بالإذن من بين التمائم ومن بين ما يعلق يحتاج إلى دليل فيه؛ لأن إبقاء العموم على عمومه هذا إبقاء لدلالة ما أراد الشارع الدلالة عليه من الألفاظ اللغوية، والتخصيص نوع من أنواع التشريع لابد فيه من دليل واضح.



فالحجة مع من يجعل التمائم التي من القرآن مما لا يُرخص فيه كابن مسعود وكغيره من الصحابة رضوان الله عليهم، وكذلك هو قول عامة أهل العلم، وهو رواية عن الإمـام أحمد اختارها المحققون من أصحابه، وعليها المذهب عند المتأخرين.

❀ ما المفاسد المترتبة على تجويز تعليق القرآن؟

في تجويز اتخاذ التمائم من القرآن أنواع من المنكر:

الأول: أنه إذا اتُّخذت التميمة من القرآن، فإنه قد يشتبه علينا الأمر، هل هذه تميمة شركية أو من القرآن؟ وإذا ورد الاحتمال فإن المنكر على الشركيات يضعف يقول احتمال أنها من القرآن، وهذا من المفاسد العظيمة؛ لأن في إبقائها إبقاء للتمائم الشركية، وفي النهي عنها سد لذريعة الإشراك بالتمائم الشركية، ولو لم يكن إلا هذا لكان كافيا.

الثاني: أن الجهلة من الناس إذا علقوا التمائم من القرآن فإنهم يتعلقون بها؛ يتعلق قلبهم بها، ولا تكون عندهم مجرد أسباب، وإنما تكون عندهم فيها خاصية من الخصائص التي تكون بنفسها يأتي بالشيء أو تدفع الشيء، وهذا لا شك فتح لباب اعتقادات فاسدة على الناس يجب أيضا وصده، ومن المعلوم أن الشريعة جاءت بسد الذرائع.

الثالث: أنه إذا علق شيئا من القرآن فإنه يمتهنه، ينام عليه أو يدخل به مواضع قذرة، أو يكون معه في حالات لا يكون من الحسن أن يكون معه قرآن فيها أو آيات، وهذا مما ينبغي اجتنابه وتركه.

❁ ما حكم من يضع آية الكرسي في السيارة، أو يضع مجسم فيه أدعية، أدعية ركوب السيارة أو أدعية السفر وغيرها من الأدعية؟

هذا فيه تفصيل:

فإن كان وضع هذه الأشياء ليتحفظها ويتذكر قراءتها فهذا جائز، كمن يضع المصحف أمام السيارة أو يضعه معه لأجل أنه إذا كانت فرصة هو أو من معه أن يقرأ فيه، فهذا جائز لا بأس به؛ لكن إن وضعها تعلقا لأجل أن تدفع عنه فهذا هو الكلام في مسألة تعليق التمائم من القرآن فلا يجوز ذلك على الصحيح ويحرم.

❁ هل من يوصي أحد بالبحث عن راق يرقي له، دون أن يطلب الرقية من الراقي بنفسه، هل هذا يدخل في الذين (يَسْتَرْقُونَ)؟ قول النبي ﷺ في وصف السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب قال (**هُمُ الَّذِينَ لاَ يَسْتَرْقُونَ**) يعني لا يطلبون الرقية، لأجل ما قام في قلوبهم من الاستغناء بالله وعدم الحاجة إلى الخلق، ولم تتعلق قلوبهم بالخلق في هذا الأمر الذي سيرفع ما بهم. ومدار العلة على تعلق القلب بالراقي أو بالرقية في رفع ما بالمرقي من أذىً أو في دفع ما قد يُتوقع من السوء.

وعليه فيكون الحالان سواءً؛ يعني إن كان طلب بنفسه أو طلب بغيره فإنه طالب، والقلب متعلق بمن طلب منه الرقية إما بالأصالة أو بواسطة.

❁ ما حكم من يذبح الذبيحة ليوزعها على المساكين لدفع البلاء فهل تجوز تلك النية؟

هذا فيه تفصيل: ذلك أن ذبح الذبائح إذا كان من جهة الصدقة ولم يكن لدفع شيء متوقَّع أو لرفع شيء حاصل ولكن من جهة الصدقة وإطعام الفقراء، فهذا لا بأس به، داخل في عموم الأدلة التي فيها الحض على الإطعام وفضيلة إطعام المساكين.

وأما إن كان الذبح؛ لأن بالبيت مريضا فيذبح لأجل أن يرتفع ما بالمريض من أذىٰ، **فالذبيحة لرفع المرض والصدقة بها عن المريض. قال العلماء: هي حرام ولا تجوز سدا للذريعة.**

❁ ما حكم الأواني التي يكتب عليها بعض الآيات، والتي تباع في بعض المحلات التجارية؟

هذه الأواني يختلف حالها:

إن كان يستخدمها؛ لأجل أن يتبرك بما كتب فيها من الآيات فيجعل فيها ماء ويشربه؛ لأجل أن الماء يلامس هذه الآيات، فهذا من الرقية غير المشروعة؛ لأن الرقية المشروعة ما كانت الآيات في الماء، وهذه الآيات لم تنحل في الماء؛ لأنها من معدن أو من نحاس، والتصاق الماء بتلك الكتابات آيات أو أدعية لا يجعل الماء بذلك مباركا أو مقروءا فيه، فإذا اتخذت لذلك فهذا من الرقية غير المشروعة.

وأما إذا أخذها للزينة أو لجعلها في البيت أو لتعليقها فهذا كرهه كثير من أهل العلم؛ لأن القرآن ما نزل لتزيَّن به الأواني أو تزين به الحيطان، وإنما نزل للهداية ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩].



❁ ما حكم من يضع المصحف في درج السيارة بقصد أن للمصحف أثر في رد العين أو البلاء؟

إذا كان يقصد من وضع المصحف في درج السيارة أو على طبلون السيارة الأمامي أو خلف السيارة أن يدفع عنه وجود المصحف العين، **فهذا من اتخاذ المصحف تميمة**، والصحيح أنه لا يجوز أن يجعل القرآن تميمة ولا أن يجعل القرآن لوجوده يعني المصحف دافعا للعين؛ لكن الذي يدفع العين قراءة القرآن والأدعية المشروعة والاستعاذة بالله جل وعلا ونحو ذلك مما جاء في الرقية.

فوضع القرآن لهذه الغاية داخل في المنهي عنه، وهو من اتخاذ التمائم من القرآن، لكن لمّا كان القرآن غير مخلوق وهو كلام الله جل وعلا لم تصر هذه التميمة شركية، وإنما ينهى عنها لأن النبي ﷺ لم يستعمل هذا ولم يجعل في عنق أحد من الصحابة لا الصغار ولا الكبار، و لو كان هذا دواءً مشروعا أو رقية سائغة أو تميمة مأذون بها لرُخِّص فيها، سيما مع شدة حاجة الصحابة إلى ذلك.

وتعليق القرآن أيسر من البحث عن راق يرقي ويطلب منه وربما يكافَأ على رقيته، فلما كان هذا أيسر والنبي ﷺ لم يرشدهم إلى الأيسر وقد بعث ميسرا، فعُلم أنَّ هذا من جنس غير المشروع. والله أعلم.

❁ قوله (وعامرهن غيري) هل يصح أن يستدل به على أن الله في كل مكان؟

قوله جل وعلا في الحديث القدسي (**يا موسى! لو أن السماوات السبع وعامِرَهُنَّ غيري**)، (**السموات السبع**) طباق بعضها فوق بعض، (**وعامِرَهُنَّ**) هي من العمارة المعنوية فعمرها



بالتسبيح والتهليل وذكر الله وعبادته، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال « **أَطّتْ السّمَاءُ وَحُقّ لَهَا أَنْ تَئِطّ مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلاّ وَمَلَكٌ قائم أو مَلَكٌ ساجدٌ أو مَلَكٌ راكعٌ**» ففيها عُمَّار كثيرون عمروها بعبادة الله جل وعلا، قد قال جل وعلا في أول سورة الأنعام ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[الأنعام:٣]، فالله جل وعلا هو المعبود سبحانه في السموات وهو المعبود سبحانه في الأرض.

فقوله (**لو أن السماوات السبع وعامِرَهُنَّ غيري**) يعني إلا أنا فيحتمل أن يكون الاستثناء راجع إلى الذات وراجع إلى الصفات، ومعلوم أن الأدلة دلت على أن الله جل وعلا على عرشه مستو عليه بائن من خلقه جل وعلا، والسماوات من خلقه سبحانه وتعالى.

فعُلم من ذلك **أن قوله وعامرهن غيري راجع إلى عمارة السماء بصفات الله جل وعلا** وبما يستحقه سبحانه من التعلق والعبودية، وما فيها من علم الله ورحمته وقدرته وتصريفه للأمر وتدبيره ونحو ذلك من المعاني.

❁ رجل عنده ولد مريض مرضا لم يجد له علاج، فقال: أذهب إلى مكة وأضع ولدي عند البيت أدعو له بالشفاء، ثم وقت الظهر سوف أعزم مائة شخص من فقراء الحرم على الغداء وأقول: ادعوا الله أن يشفي ولدي. فما حكم هذا العمل؟

هذا العمل فيه: تصدق ودعوة الفقراء إلى الطعام، وفيه طلب الدعاء منهم لولده. والتصدق بالطعام من جنس المشروع، فإن كان فيه من الذبائح ففيه التفصيل سواء أكانت دجاجا أو كان

ضأنا أو غير ذلك مما يُذبح يعني مما فيه إراقة دم، وإن كان أطعمهم طعاما لإشباعهم والتصدق عليهم، وطلب منهم الدعاء، وهي المسألة الثانية فهذا راجع إلى: هل يشرع طلب الدعاء من الغير بهذه الصفة؟

والظاهر أن هذا من جنس ما هو غير مشروع، أي ليس بمستحب ولا واجب، وطلب الدعاء من الآخرين قال العلماء: الأصل فيه الكراهة.

والذي يتأمل ما روي عن الصحابة وعن التابعين فيمن طلب منهم الدعاء أنهم قهروه ونهوه، وقالوا: أنحن أنبياء؟ كما قال حذيفة، وكما قال معاذ، وكما قال غيرهما، ومالك بن أنس رضي الله عنه ورحمه إمام دار الهجرة كان ربما طُلِب منه الدعاء فنهى من طلب منه الدعاء، لأنه إذا عرف عند الناس أن فلانا يطلب منه الدعاء بخصوصه، فإن القلوب تتعلق بذلك، وإنما يتعلق في طلب الدعاء بالأنبياء أما من دونهم فلا يتعلق بهم في هذا الأمر.

لهذا **اختار شيخ الإسلام ابن تيمية** رحمه الله أن طلب الدعاء من المسلم الحي يكون مشروعا إذا قصد به نفع الداعي ونفع المدعو له، إذا قصد الطالب أن ينفع الجهتين، ينفع الداعي وينفع المدعو له فهذا محسن وطالب لنفسه، فهذا من المشروع، وهذا هو الذي يُحمل عليه ما جاء في السنة فيما رواه أبو داود والترمذي وغيرهما أن النبي ﷺ قال لعمر لما أراد أن يعتمر قال له: «**لا تنسنا يا أخي من دعائك**» وهذا الحديث إسناده ضعيف، وقد احتج به بعض أهل العلم، ومعناه أن النبي ﷺ أراد أن ينفع عمر بهذه الدعوة، فالطالب للدعاء محتاج إلى غيره.

وعليه فإن فعل هذا الرجل لأجل ولده الأَوْلى تركه لأجل ألا يتعلق قلبه بأولئك في دعائهم.

❁ روى أحمد عن رويفع، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا رُوَيْفع! لعلَّ الحياةَ تَطُولُ بك، فأخبِرِ الناسَ أنَّ مَن عقَد لحيتَه، أو تقلَّد وتراً، أو استنجى برجيع دابَّة أو عظْم، فإن محمداً بريءٌ منه» ما الذي يدل عليه لفظ (تقلَّد وتراً)؟ ولم خص الوتر؟ وما الذي يدل عليه لفظ (فإن محمداً بريءٌ منه)؟

قوله (**تقلَّد وتراً**) التقليد بالوتر يدل على أنّ النهي ليس راجع إلى القلادة من حيث هي؛ بل إلى القلادة التي يُعتقد فيها أنها تدفع العين، و**خص الوتر منها** هنا لأنه كان أهل الجاهلية يقلدون الأوتار وينوطون بها بعض الخِرق أو بعض الشعر أو بعض العظام لكي تدفع العين عن الأبعرة.

ولفظ (**فإن محمداً بريءٌ منه**) هذا من الألفاظ التي تدلّ أن الفعل من الكبائر؛ لأن من الأدلة على أن فعلا ما من الكبائر أو عملا ما أو قولا ما من الكبائر أن يقال فيه: الله ورسوله منه بريئان، أو يتبرأ النبي ﷺ منه؛ لأن ذلك يدل على عظم المعصية، والشرك الأصغر من الكبائر كما أن الشرك الأكبر من الكبائر.

❁ ما وجه فضيلة قطع التمائم؟

عن سعيد بن جُبَير، قال: **من قطع تميمة من إنسان، كان كعِدْل رقبة**. يعني كان كتحرير رقبة، هذا فيه فضيلة قطع التمائم؛ وذلك لأنها شرك بالله جل وعلا، والشرك الأصغر مدخل للنار من حيث الوعيد، والتوعد عليه بالنار جاء في نحو قوله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾[النساء:٤٨، ١١٦]، ونحو قوله «**مَن ماتَ وهوَ يَدعو من دون اللهّ نِدّاً دخلَ النار**»، وفي نحو قوله« **مَنْ مَاتَ وَهُوَ يُشْرِكُ باللهّ شَيْئا دَخَلَ النّارَ**»، وإذا قطع التميمة من عنقه فهو في مقام



إعتاق رقبة ذاك الذي قُطعت منه التميمة من النار؛ لأنه استوجب بذلك الفعل الوعيد بالنار فإذا قطع تميمة فكان جزاءه من جنس فعله، فكما أنه أعتق رقبة هذا المسلم من النار فأثيب بأن له مثل إعتاق رقبة. وهذا القول من سعيد بن جبير سمعه من الصحابة رضوان الله عليهم؛ لأن هذا مما لا يقال بالرأي، وإذا كان كذلك فله حكم المرسل، فيكون هذا مرسلا.

❁ ما المقصود بالتبرك؟ وهل يجوز للمخلوق أن يقول باركتُ على الشيء؟

التبرك: تفعُّل من البركة، وهو طلب البركة، والخير الكثير وطلب ثباته وطلب لزومه، مأخوذة من حيث الاشتقاق من مادة برُوك أو من كلمة بِرْكة، والبرْكة وهي مجمتع الماء يدل على كثرة الماء في هذا الموضع وعلى لزومه له وعلى ثباته في هذا الموضع. فيكون معنى **البركة** كثرة الشيء الذي فيه الخير وثباته ولزومه.

والذي يُبارك هو الله جل وعلا، فلا يجوز للمخلوق أن يقول باركتُ على الشيء أو أبارك فعلكم؛ لأن لفظ البركة ومعنى البركة، إنما من الله؛ لأن الخير كثرته وثباته ولزومه إنما هو من الذي بيده الأمر.

❁ ما أقسام الأشياء التي أعطاها الله البركة؟ وهل هي بركة من حيث المعنى أم من حيث الذات؟ وما الفرق بين البركة الذاتية والمعنوية؟

البركة التي أعطاها الله جل وعلا للأشياء: قسمان: -

- إمّا تكون الأشياء هذه أمكنة أو أزمنة.
- وإمّا أن تكون تلك الأشياء من بني آدم؛ يعني مخلوقات آدمية.

أمّا الأمكنة: فإن الله جل وعلا حين بارك بعض الأماكن كبيت الله الحرام، وما حول بيت المقدس ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء:١]، أراد بقوله أنها المباركة أن يكون فيها الخير الكثير اللازم الدائم لها، ليكون ذلك أشجع في أن يلازمها أهلُها الذين دعوا إليها، ولا يعني أن يُتمسح بأرضها، أو أن يتمسح بحيطانها، فهذه بركة لازمة لا تنتقل بالذات، **وإنما الأرض المباركة من جهة المعنى.**

وبيت الله الحرام مبارك من جهة المعنى؛ فلا تنتقل البركة بالتمسح به؛ والحجر الأسود حجر مبارك، ولكن بركته لأجل العبادة؛ يعني أنه من استلمه تعبدا مطيعا للنبي ﷺ في استلامه له وفي تقبيله فإنه يناله به بركة الاتباع، وقد قال عمر رضي الله عنه لمّا قبّل الحجر: إني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر -قوله (لا تنفع ولا تضر) يعني لا ينقل لأحد شيء من النفع ولا يدفع عن أحد شيء من الضر- ولو لا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. هذا من جهة الأمكنة.

وأمّا الأزمنة: فمعنى كون الزمـان مباركا مثل شهر رمضان أو بعض أيام الله الفاضلة؛ يعني أن من تعبد فيها ورَامَ الخير فيها، فإنه يناله من كثرة الثواب ما لا يناله في غير ذلك الزمان.

وأما البركة المنوطة ببني آدم: فإن البركة التي جعلها الله جل وعلا في الناس إنما هي بركة فيمن آمن؛ لأن البركة من الله جل وعلا، وجعل بركته للمؤمنين به، وسادة المؤمنين هم الأنبياء والرسل، **والأنبياء والرسل بركتهم بركة ذاتية؛** يعني أن أجسامهم مباركة؛ بمعنى أنه لو تبرك أحد من أقوامهم بأجسادهم بالتمسح بها أو بأخذ عَرَقها أو بالتبرك ببعض الشعر فهذا جائز؛ لأن الله جعل أجسادهم مباركة. وهكذا النبي ﷺ محمد بن عبد الله جسده أيضا جسد مبارك، ولهذا جاءت الأدلة في السنة أن الصحابة كانوا يتبركون بعرقه، ويتبركون بشعره، وإذا توضأ

اقتتلوا علىٰ وَضوئه. لأن أجساد الأنبياء فيها بركة ذاتية يمكن معها نقل أثر هذه البركة أو نقل البركة والفضل والخير من أجسادهم إلىٰ غيرهم.

وهذا مخصوص بالأنبياء والرسل، أما غيرهم فلم يرد دليل على أنّ ثم من أصحاب الأنبياء من بركتهم بركة ذاتية، حتىٰ أفضل هذه الأمة أبو بكر وعمر فقد جاء بالتواتر القطعي أنَّ الصحابة والتابعين والمخضرمين لم يكونوا يتبركون بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي بجنس تبركهم بالنبي ﷺ بالتبرك بالشعر أو بالوضوء أو بالنُّخامة أو بالعرق أو بالملابس ونحو ذلك، لأن بركة أبي بكر وعمر إنما هي بركة عمل، ليست بركة ذات تنتقل كما هي بركة النبي ﷺ.

وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في صحيحه أن النبي ﷺ قال: «**إنّ منَ الشجَر لَما بَرَكتُه كبركةِ المسلم**»، فدلّ علىٰ أن في كل مسلم بركة، وأيضا فيه يعني في البخاري قال أحد الصحابة: **ما هذه بأَوّلِ برَكَتِكمْ يا آلَ أبي بكرٍ**. هذه البركة التي أُضيفت لكل مسلم وأضيفت لآل أبي بكر بركة عمل، هذه البركة راجعة إلىٰ الإيمان وإلىٰ العلم والدعوة والعمل.

فكل مسلم فيه بركة، هذه البركة ليست بركة ذات، وإنما هي بركة عمل، بركة ما معه من الإسلام والإيمان وما في قلبه من الإيقان والتعظيم لله جل وعلا والإجلال له، والإتباع لرسوله ﷺ، ولكن لا يجوز أن يتبرك بكل مسلم بمعنىٰ أن يتمسح به أو يتبرك بريقه؛ لأن أفضل الخلق من هذه الأمة لم يفعلوا ذلك مع خير هذه الأمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

❁ ما مقصد المشركين بالتبرك بآلهتهم؟ وما أنواع هذه الآلهة التي كانوا يتبركون بها؟

تبرّك المشركين أنهم كانوا يرجون كثرة الخير ودوام الخير ولزوم الخير وثبات الخير بالتوجه إلى الآلــهة.

وهذه الآلــهة أنواع:

- منها الصنم الذي من الحجارة.
- ومنها القبر من التراب.
- ومنها الوثن.
- ومنها الشجر.
- ومنها البقاع المختلفة؛ غار أو عين ماء أو نحو ذلك.

باب مَن تبرك بشجر أو حجر ونحوهما

❁ هل شرك المتبرك بالشجر والحجر شرك أكبر أم شرك أصغر؟

التبرك بالشجر أو الحجر أو بالقبر أو ببقاع مختلفة قد يكون شركا أكبر وقد يكون شركا أصغر:

◆ يكون **شركا أكبر**: إذا طلب بركتها معتقدا أن هذا الشجر أو الحجر أو القبر إذا تمسح به أو تمرَّغ عليه أو التصق به يتوسط له عند الله، فإذا اعتقد فيه أنه وسيلة إلى الله، فهذا اتخاذ إلــه مع الله جل وعلا وشرك أكبر، وهذا هو الذي كان يزعمه أهل الجاهلية للأحجار والأشجار التي يعبدونها، وبالقبور التي يتبركون بها، يعتقدون أنهم إذا عكفوا عندها وتمسحوا بها وبالقبور أو



تثروا التراب عليها فإن هذه البقعة أو صاحب هذه البقعة أو الرَّوحانية؛ الروح التي تخدم هذه البقعة أنه يتوسط له عند الله جل وعلا، فهذا راجع إلى اتخاذ أنداد مع الله جل وعلا، قد قال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾[الزمر:٣].

♦ ويكون **التبرك شركا أصغر**: إذا كان هذا التبرك بنثر التراب عليه، أو إلصاق الجسم بذلك، أو التبرك بعين ونحوها، إذا كان من جهة أنه جعله سببا لحصول البركة، بدون اعتقاد أنه يوصل إلى الله؛ فيجعله سببا مثل ما يجعل لابس التميمة أو لابس الحلقة أو لابس الخيط، فإذا أخذ تراب القبر ونثره عليه لاعتقاده أن هذا التراب مبارك وإذا لامس جسمه فإن جسمه يتبارك من جهة السببية فهذا شرك أصغر؛ لأنه ما صرف عبادة لغير الله جل وعلا، وإنما اعتقد ما ليس سببا مأذونا به شرعا سببا.

❁ ما هي اللات؟ وما هي العزى؟ وما هي مناة؟

(اللَّاتَ) صخرة بيضاء عند أهل الطائف، وما هُدمت إلاّ بعد أن أسلمت ثقيف؛ أرسل لها النبي ﷺ المُغيرة بن شعبة فهدمها وكسّرها، وكان عليها بيت ولها سدنة ولها خدم. واللاتَ صخرة، وإذا قُرئت اللاتَّ تكون قبرا أو صخرة كان يتعبد عندها ويتصدق ذاك الذي كان يلتّ السويق.

و**(الْعُزَّى)** شجرة كانت بين مكة والطائف، وكان هناك لها سدنة وكانت امرأة كاهنة هي التي تخدم ذلك الشرك، ولمّا فتح النبي ﷺ مكة أرسل إليها خالد بن الوليد فقطع الأشجار الثلاث؛ السمرات الثلاث، وقتل من قتل ولمّا رجع وأخبر النبي ﷺ، قال له «**ارجع فإنك لم تصنع شيئا**»، فرجع فرآه السدنة ففروا إلى الجبل، ثم رأى مرأة ناشرة شعرها عُريانة –هي الكاهنة



التي كانت تخدم ذلك الشرك وتُحضر الجن لإضلال الناس في ذلك الموضع-، فرآها فعلاها بالسيف حتى قتلها، فرجع إلى النبي ﷺ قال «**تلك العُزَّى**».

فتعلق الناس كان بتلك الشجرة وبالمرأة التي كانت تخدم ذلك الشرك، فلو قطعت الأشجار وبقيت المرأة فإن المرأة ستغري الناس مرة أخرى بما تذكره لهم أو ما تحكيه لهم أو ما تجيب به مطلبهم عن طريق الجن، فيكون الشرك ما انقطع، ولهذا قال النبي ﷺ «**تلك العُزَّى**». يعني في الحقيقة هي المرأة التي تغري الناس بذلك وإلاّ فهي شجرة، و(**مَنَاة**) هي صخرة، سُميت (**مَنَاة**) لكثرة ما يُمْنى عليها من دماء تعظيما لها.

❁ ما هي ذات أنواط التي اتخذها المشركون، والتي طلب الصحابة من النبي ﷺ أن يجعل لهم مثلها؟ وما الذي يفيده طلبهم هذا؟

المشركون كانت لهم سدرة شجرة لهم معها اعتقاد؛ واعتقادهم فيها يشمل ثلاثة أشياء:

الأول: أنهم كانوا يعظمونها.

الثاني: أنهم كانوا يعكفون عندها.

الثالث: أنهم كانوا ينوطون بها الأسلحة رجاء نقل البركة من الشجرة إلى السلاح؛ حتى يكون أمضى وحتى يكون خيره لحامله أكثر.

والصحابة رضوان الله عليهم كانوا حديثي عهد بكفر فقالوا (**اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ**) فظنوا أن هذا لا يدخل في الشرك وأن كلمة التوحيد لا تهدم هذا الفعل.

ويستفاد من هذا: أنه قد يغيب عن بعض الفضلاء بعض مسائل الشرك؛ لأن الصحابة وهم أعرف الناس باللغة، خَفِيَت عليهم بعض أفراد توحيد العبادة.

فقال رسول الله ﷺ (**الله أكبر! إنها السنن! قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾**) فشبّه المقالة بالمقالة.

فالمشركون عبدوا ذات الأنواط، وأمّا المسلمون حديثو العهد بالإسلام فطلبوا بالقول، والنبي عليه الصلاة والسلام شبه القول بقول قوم موسى (**اجْعَل لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**) ولم يفعلوا ما طلبوا ولما نهاهم النبي ﷺ انتهوا، ولو فعلوا ما طلبوا لكان شركا أكبر؛ لكن لما قالوا وطلبوا دون فعل صار قولهم شركا أصغر؛ لأنه كان فيه نوع تعلق بغير الله جل وعلا. فلما نهاهم النبي ﷺ انتهوا، وهم لا يعلمون أن هذا الذي طلبوه غير جائز، وإلاّ فلا يظن بهم أنهم يخالفون أمر النبي ﷺ ويرغبون في معصيته. وهم لم يكفروا لأنه لم يأمرهم عليه الصلاة والسلام بتجديد الإسلام.

❁ بعض الناس الجهلة يتمسح بأبواب الحرم الخارجية، أو ببعض الجدران، أو ببعض الأعمدة فهل يعد هذا شركا أصغر أم أكبر؟

إن ظن أن ثَمّ روحاً في هذا العمود، أو هناك أحد مدفون بالقرب منه، أو ثم من يخدم هذا العمود من الأرواح الطيبة -كما يقولون-، فتعلق قلبه بهذا المتمسح به والمتبرك به وعظمه ولازمه، أو ليتوسل به إلى الله فتمسح لأجل أن يصل إلى الله جل وعلا فهذا شرك أكبر.

وأما إذا تمسح باعتقاد أن هذا المقام مبارك وأن هذا سبب قد يشفيه، فهذا يكون شركا أصغر.



باب ما جاء في الذبح لغير الله

❁ ما المقصود بالذبح لغير الله؟، وما وجه مناسبة قوله ﷺ (لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِــغَيْرِ اللهِ)، للباب؟،

الذبح معروف: وهو إراقة الدم، **وقوله**: (لِــغَيْرِ اللهِ)، اللام هنا تعليلية، يعني من أجل غير الله تقربا إليه وتعظيما.

وهذا وجه مناسبة هذا الحديث لباب ما جاء في الذبح لغير الله: يعني من الوعيد، وأنه شرك، ومن الوعيد أن صاحبه ملعون.

❁ ما وجه الدلالة في حديث: «دخل الجنة رجل في ذباب ودخل النار رجل في ذباب»؟

وجه الدلالة من هذا الحديث: أن التقريب للصنم بالذبح كان سببا لدخول النار، وذلك من حيث ظاهر المعنى، أن من فعله كان مسلما فدخل النار بسبب ما فعل، وهذا يدل على أن الذبح لغير الله شرك بالله جل وعلا -شرك أكبر-؛ لأن ظاهر قوله (دخل النار) يعني استوجبها مع من يخلد فيها.

ووجه الدلالة أيضا: أن تقريب هذا الذي لا قيمة له -وهو الذباب- يدل على أن من قرب ما هو أبلغ وأعظم منفعة وأعظم عند أهله وأغلى أنه سبب أعظم لدخول النار.

❁ ما معنى قوله: (لا يجوزه أحد حتى يقرّب له شيئا)؟ وهل ظاهره الإكراه؟، وما وجه استشكال العلماء في هذا الحديث؟

معنى قوله: (لا يجوزه أحد) يعني أنهم لا يأذنون لأحد بمجاوزته عند ذلك الطريق حتى يقرب له شيئاً، وهذا ليس إكراها، إذ يمكن أن يقول سأرجع من حيث أتيت، ولا يجوز ذلك الموضع ويتخلص من ذلك، فالحديث لم يدل على أنهم أُكرهوا؛.

وهذا يدل على أن الإكراه بالفعل لم يحصل من أولئك: فلا يدخل هذا في قوله ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾[النحل:١٠٦]؛ لأنه ليس في الحديث دلالة -كما هو ظاهر- على حصول الإكراه.

وبعض العلماء: استظهر من قوله في آخر الحديث من قتلهم لأحد الرجلين: أنه لا يجوزه حتى يُقتل، وأن هذا عُلم بالسياق، فصار ذلك نوع إكراه، فلهذا **استشكلوا** كون هذا الحديث دالا على أن من فعل هذا الفعل يدخل النار مع أنه مُكره.

❁ والجواب عن هذا الإشكال:

أولاً: أن هذا الحديث على هذا القول -وهو أنه حصل منهم الإكراه بالقتل- أن هذا الحديث فيمن كان قبلنا، ورفع الإكراه أو جواز قول كلمة الكفر أو عمل الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان هذا خاص بهذه الأمة، هذا أجاب به بعض أهل العلم.

والثاني: هو أنّ السياق ليس بمتعين على أنهم هددوه بالقتل، وإذا كان غير متعين بأنهم هددوه بالقتل فإنه لا يُحمل على شيء مجمل لم يُعيَّن، ودلالة قوله هنا (**فضربوا عنقه**) يعني فيمن لم يقرب فدخل الجنة ربما لأنه أهان صنمهم بقوله (**ما كنت لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل**)، لهذا استشكل هذا الحديث طائفة من أهل العلم.

وهو بحمد الله ليس فيه إشكال؛ لأنه:

- إمّا أن يُحمل على أنه كان فيمن كان قبلنا فلا وجه إذا لدخول الإكراه.
- أو يُحمل على أنهم لم يكرهوه حين أراد المجاوزة ولكن قتلوه لأجل قوله (**لم أكن لأقرب لأحد شيئا دون الله عز وجل**).

إذن هذا الباب وهو قوله (**باب ما جاء في الذبح لغير الله**) ظاهر في الدلالة على أن التقرب لغير الله جل وعلا بالذبح هو شرك بالله جل وعلا في العبادة، فمن ذبح لغير الله تقربا وتعظيما فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة.

وقوله: (**باب ما جاء في الذبح لغير الله**) ظاهر في الدلالة على أن التقرب لغير الله جل وعلا بالذبح هو شرك بالله جل وعلا في العبادة، فمن ذبح لغير الله تقربا وتعظيما فهو مشرك الشرك الأكبر المخرج من الملة.

❁ يقوم الذبح على محورين مهمين يتفرع عنهما أربعة أحوال فما هي؟

الذبح فيه محوران مهمان:

الأول: التسمية فالذبح باسم الله، أو باسم غيره.

والثاني: القصد وهو أن يذبح متقربا لما يريد أن يتقرب إليه.

♦ أما التسمية فما ذكر اسم الله عليه فإنه جائز ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾[الأنعام:١١٨]، وأن ما لم يذكر اسم الله عليه فهذا الذي أُهِلَّ لغير الله؛ يعني ذكر غير اسم الله عليه فهذا أهل لغير لله به، ﴿وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[البقرة:١٧٣].

والتسمية على الذبيحة من جهة المعنى استعانة، فإذا سمّىٰ اللهَ فإنه استعان في هذا الذبح بالله جل وعلا؛ لأن الباء في قولك بسم الله. يعني أذبح متبركا ومستعينا بكل اسم لله، أو بالله جل وعلا الذي له الأسماء الحسنىٰ.

♦ **فأما القصد فهذه جهة عبودية ومقاصد**. فذبح بسم الله لله، فتكون الاستعانة بالله والقصد من الذبح أنه لوجه الله تقرب لله جل وعلا. **فصارت الأحوال عندنا أربعة**:

الأول: أن يذبح بسم الله لله، وهذا هو التوحيد.

الثانية: أن يذبح بسم الله لغير الله، وهذا شرك في العبادة.

الثالثة: أن يذبح بسم غير الله لغير الله، وهذا شرك في الاستعانة، وشرك في العبادة أيضا.

الرابعة: أن يذبح بغير بسم الله ويجعل الذبيحة لله وهذا شرك في الربوبية.

❁ ما الواجب في الذبح الشرعي؟ وما الحكم لو ترك التسمية عمدا؟ وما الحكم لو ذبحا بقصد اللحم لا تقربا إلى الله؟

الواجب أن يذبح لله قصدا، تقربا، وأن يسمي الله على الذبيحة:

- فإن لم يسمِّ الله جل وعلا **وترك التسمية عمدا فإن الذبيحة لا تحل**.
- وإن لم يقصد بالذبيحة التقرب إلى الله جل وعلا ولا التقرب لغيره، وإنما ذبحها لأجل أضياف عنده أو لأجل أن يأكلها؛ يعني **ذبحها لقصد اللحم لم يقصد بها التقرب فهذا جائز وهو من المأذون فيه**؛ لأن الذبح فيه لا يُشترط فيه أن ينوي الذابح التقرب بالذبيحة إلى الله جل وعلا.

❁ ما حكم من ذبح للسلطان؟

بعض العلماء قال أنها ليست شركا، وإنما تحرم فقط؛ لأنه لم يقصد بذلك تعظيم السلطان كتعظيم الله جل وعلا.

❁ ما الفرق بين من يذبح لغير الله ومن يذبح ذاكرا غير اسم الله على الذبيحة؟

الذبح لغير الله شرك في العبودية، والذبح بذكر غير اسم الله على الذبيحة شرك في الاستعانة، ولهذا قال جل وعلا ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[الأنعام:١٢١]؛ يعني إن أطعتموهم في الشرك فإنكم لمشركون كما أنهم مشركون.

❁ مما يقع فيه كثير من الناس أنه إذا حصل له أمر، ونجا منه، فإنه يجب عليه أن يتصدق فهل هذا مشروع؟

الصدقة في مثل هذا ليس لها حكم الوجوب، والشكر لله جل وعلا على نعمه، إذا نُجِّيَ العبد من بلاء، أو حصلت له مسرَّة يكون تارة بالسجود، وتارة بالصلاة، أو بالصدقة شكرا لله جل وعلا على نعمه، وهذا كله من المستحب، وليس من الواجب، إلا إذا نذر أنه إن نُجِّي من كذا وكذا، فإنه سيتصدق، فهنا يكون ألزم نفسه بعبادة وهي الصدقة؛ فتكون واجبة بالنذر.

❁ إذا كان الذبح لا يجوز لدفع المرض فكيف نجمع بينه وبين الحديث: «داووا مرضاكم بالصدقة»؟

قول النبي ﷺ «**داووا مرضاكم بالصدقة**» فيما رواه أبو داوود وغيره، وقد حسنه بعض أهل العلم وضعفه آخرون، ومعنى (**داووا مرضاكم بالصدقة**) يعني بغير إراقة الدم، فيكون إراقة الدم مخصوص من المداواة بالصدقة؛ لأجل ما فيه من وسيلة إلى الاعتقادات الباطلة. ومعلوم أن الشريعة جاءت لسد الذرائع الموصلة إلى الشرك، وجاءت أيضا بفتح الذرائع الموصلة إلى الخير، فما كان من ذريعة يوصل إلى الشرك والاعتقاد الباطل فإنه يُنهى عنه.

❁ هناك عادة منتشرة بين الناس أن من حصل بينه وبين شخص عداوة أو بغضاء بتعدٍّ من أحدهما على الآخر، فيطلبون من أحدهما أن يذبح ويسمون ذلك ذبح صلح، فيذبح؛ ويحضرون معهم من حصلت معه هذه العداوة، فما حكم ذلك؟

ذبح الصلح الذي تعمله بعض القبائل في صورته المشتهرة المعروفة لا يجوز؛ لأنهم يجعلون الذبح أمام من يريدون إرضاءه، ويريقون الدم تعظيما له أو إجلالا لإرضائه. وهذا يكون

محرما؛ لأنه لم يُرِق الدم لله جل وعلا وإنما أراقه لأجل إرضاء فلان، وهذا الذبح محرم والذبيحة أيضا لا يجوز أكلها؛ لأنها لم تُهَلَّ أو لم تذبح لله جل وعلا وإنما ذبحت لغيره.

فإن كان الذبح أن هذا صفته من جهة التقرب والتعظيم صار شركا أكبر، وإن لم يكن من جهة التقرب والتعظيم صار محرما؛ لأنه لم يَخلص من أن يكون لغير الله.

فصار عندنا في مثل هذه الحالة وكذلك في الذبح للسلطان ونحوه كأن يكون الذبح في مقدمه وأن يراق الدم بقدومه وبحضرته، هذا قد يكون على جهة التقرب والتعظيم، فيكون الذبح حينئذ شركا أكبر بالله جل وعلا؛ لأنه ذبح وإراقة الدم تعظيما للمخلوق وتقربا إليه.

وإن لم يذبح تقربا أو تعظيما وإنما ذبح لغاية أخرى مثل الإرضاء ولكنه شابه أهل الشرك فيما يذبحونه تقربا وتعظيما، فالذبيحة لا تجوز ولا تحل والأكل منها حرام.

ويمكن لمن يشيع عندهم في بلادهم أو في قبائلهم مثل هذا الذي المسمى ذبح الصلح ونحوه أن يبدلوه بخير منه وهو أن تكون وليمة للصلح، فيذبحون للضيافة يعني يذبحون لا بحضرة من يريدون إرضاءه، ويدعونهم ويكرمونهم، وهذا من الأمر المرغب فيه أن يكون الذبح كما يذبح المسلم عادة لضيافة أضيافه ونحو ذلك.

❁ هناك رجل في منطقتنا يأتي إليه الناس عند فقْد أموالهم، فيعطيهم خيطا معقدا، ويقرأ عليه، ويطلب منهم أن يضعوه في المكان الذي فقده، فما حكم ذلك؟ وما حكم الصلاة خلفه؟

هذا من الكِهانة؛ لأن هذا الذي يعمل هذه الأشياء عراف، أو كاهن، وقد يكون ساحرا أيضا، فلا يجوز عمل مثل هذا العمل، ولا يحل لأحد أن يعين أحدا يدَّعي معرفة شيء من علم الغيب، والصلاة خلفه لا تجوز؛ لأن هذا إما أن يكون عرافا، أو كاهنا، أو ساحرا، وهؤلاء لا تجوز الصلاة خلفهم.

❁ ما معنى قولهم الشرك الأصغر أكبر من الكبائر؟ وكيف يكون كذلك والشرك الأكبر من الكبائر؟

الكبائر قسمان:

- قسم منها راجع إلى جهة **الاعتقاد والعمل** الذي يصحبه اعتقاد.
- وقسم منها راجع إلى **جهة العمل** الذي لا يصحبه اعتقاد.

مثال الأول: الذي يصحبه اعتقاد: أنواع الشرك بالله من الاستغاثة بغيره، ومن الذبح لغير الله، ومن النذر لغير الله نحو ذلك، هذه الأعمال ظاهرة هي كبائر يصحبها اعتقاد جعلها شركا أكبر، فهي في ظاهرها صرف عبادة لغير الله جل وعلا، وقام بقلب صاحبها الشرك بالله بتعظيم المخلوق وجعله يستحق هذا النوع من العبادة إما على جهة الاستقلال أو لأجل أن يتوسط.

والقسم الثاني: الكبائر العملية التي تعمل لا على وجه اعتقاد، مثل الزنا وشرب الخمر والسرقة وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف ونحو ذلك من الكبائر والموبقات، فهذه تعمل دون اعتقاد.

فالشرك الأصغر، ومن باب أولى الشرك الأكبر جنسه أكبر من الكبائر العملية، فأنواع الشرك الأصغر ولو كان لفظيا مثل قول ما شاء الله وشئت، مثل الحلف بغير الله، أو نسبة النِّعم إلى غير الله، أو نسبة اندفاع النقم إلى غير الله، أو تعليق التمائم ونحو ذلك. هذه من حيث الجنس أعظم من كبائر العمل الذي لا يصاحبه اعتقاد؛ لأن الأعمال تلك كالزنا والسرقة ونحوها من الكبائر العملية هذه ليس فيها سوء ظن بالله جل وعلا وليس فيها صرف عبادة لغير الله أو نسبة شيء لغير الله جل وعلا، وإنما هي من جهة الشهوات.

❁ لماذا لم يبين الرسول ﷺ الشرك للصحابة قبل أن يقعوا فيه في حديث ذات الأنواط؟

من المعلوم أنَّ الشريعة جاءت بالإثبات المفصَّل والنفي المجمل، والنفي إذا كان مجملا فإنه ينبني تحته صور كثيرة يُدخلُها مَن فَهِمَ النفي في الدلالة، فلا يحتاج مع النفي على أن ينبه على كل فَرد فرد.

فمن فهم لا إله إلا الله لم يُحتج إلى أن يفصل له كل مسألة من المسائل، فمثلا النذر لغير الله ليس فيه حديث النذر لغير الله شرك، والذبح لغير الله ليس فيه حديث الذبح لغير الله شرك، ونحو ذلك من الألفاظ الصريحة؛ ولهذا الصحابة رضي الله عنهم فهموا ما دخل تحت هذا النفي، ولم يطلب ذات

أنواط كما للمشركين ذات أنواط إلا من كان حديث عهد بكفر؛ يعني لم يسلم إلا قريبا، وهم قلة ممن كانوا مع النبي ﷺ في مسيره إلى حنين.

والإثبات يكون مفصلا، وتفصيل الإثبات: تارة يكون بالتنصيص، وتارة يكون بالدلالة العامة من وجوب إفراد الله جل وعلا بالعبادة مثلا، أو بالأدلة الخاصة بالعبادة كقوله ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان:٧]، وكقوله ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر:٢]، وكقوله ﴿تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾[الأنفال:٩]، فهذه أدلة إثبات تثبت أن تلك المسائل من العبادات، وإذا كانت من العبادات فنقول لا إلـه إلا الله يقتضي بالمطابقة أنه لا تصرف العبادة إلا لله جل وعلا.

❁ ما حكم التبرك بالصالحين وبماء زمزم والتعلق بأستار الكعبة؟

التبرك بالصالحين قسمان:

- تبرك بذواتهم، بعرقهم، بسورهم؛ يعني بقية الشراب، بلعابهم الذي اختلط بالنوىٰ مثلا أو ببعض الطعام، أو التبرك بشعرهم، أو نحو ذلك، **فهذا لا يجوز وهو من البدع المحدثة**، حتىٰ أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يعملون مع أبي بكر وعمر وعثمان وعلي –وهم سادة أولياء هذه الأمة– شيئا من ذلك، وإنما فعله الخُلوف الذين يفعلون مالا يؤمرون ويتركون ما أُمِروا به.

- والقسم الثاني بركة عمل: وهي الاقتداء بالصالحين في صلاحهم، والاستفادة من أهل العلم، التأثر بأهل الصلاح، وهذا أمر مطلوب، **والتبرك بالصالحين بهذا المعنى مطلوب شرعا**.

أما التبرك بالذات كما كان يفعل مع النبي ﷺ فهذا ليس لأحد إلا للنبي عليه الصلاة والسلام.

أما **التبرك بماء زمزم** فإن شُرب ماء زمزم بما جاء به الدليل ولما جاء به الدليل لا بأس به، فالنبي عليه الصلاة والسلام قال في ماء زمزم «**إنها طعام طعم وشفاء سقم**» فمن شربها طعاما أو شفاء سقم شرب بما دل عليه الدليل، أو لغرض من الأغراض التي يريد أن يحققها لنفسه فهذا أيضا جائز؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «**ماء زمزم لما شرب له**».

أما **التعلق بأستار الكعبة** رجاء البركة هذا من وسائل الشرك الأصغر إذا اعتقد أن ذلك التبرك سبب.

أما إذا اعتقد أن الكعبة ترفع أمره إلى الله أو أنه إذا فعل ذلك عَظُم قدره عند الله وأن الكعبة يكون بها شفاعة عند الله أو نحو تلك الاعتقادات التي فيها اتخاذ الوسائل إلى الله جل وعلا فهذا يكون التبرك على ذاك النحو شرك أكبر.

❁ **بعض الساعات مكتوب عليها لفظ الجلالة، فهل يجوز الدخول بها إلى الخلاء؟**

يكره دخوله الخلاء بشيء فيه ذكر الله، في آداب دخول الخلاء في الفقه، فاصطحاب شيء مما فيه ذكر الله إلى الخلاء مكروه.



❁ ما فائدة المؤكدات في قول الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ الآية[الأنعام: ١٦٢ -١٦٣]؟ وما هو النسك المذكور في الآية؟

(قُلْ إِنَّ) و(إِن) من المؤكدات، ومجيء التأكيد في الجمل الخبرية معناه أنَّ من خوطِب بذلك منكر لهذا الأمر أو منزَّل منزلة المنكر له، فدلّ على أن هذه الآية في التوحيد؛ يعني في توحيد الذبح لأجل الله جل وعلا وأن الذبح لغيره مخالف لما يستحقه الرب جل وعلا. والنسك هو الذبح أو النحر.

❁ لماذا يعد النحر عبادة عظيمة؟

التقرب بالدم لله جل وعلا عبادة عظيمة؛ لأن الذبائح أو المنحورات من الإبل والبقر والغنم من الضأن والماعز مما تعظم في نفوس أهلها، ونحرُها تقربا لله جل وعلا والصدقة بها عبادة عظيمة:

- فيها إراقة الدم لله.
- وفيها تعلق القلب بحسن الثواب من الله جل وعلا.
- وفيها حسن الظن بالله تبارك وتعالى.
- وفيها التخلص من الشح والرغب فيما عند الله سبحانه بإزهاق نفس ما هو عزيز عند أهله.



❁ ما أوجه استعمالات اللام في القرآن الكريم؟ وما الذي تعنيه اللام في قوله (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ؟ وما وجه الاستدلال بالآية على أنواع التوحيد؟

اللام في اللغة وفيما جاء من الاستعمال في القرآن: على ثلاثة أوجه:

- تأتي لام المِلْك ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾[الكهف:٧٩]؛ يعني يملكونها.
- أو تكون لام الاختصاص وهو شبه الملك.
- أو تكون لام الاستحقاق مثل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يعني جميع أنواع المحامد مستحَقة لله.

وهذه الآية بما اشتملت عليه من هذه الألفاظ الأربع دلت على توحيد الإلـهية (قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي) وعلى توحيد الربوبية (**وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي**) هذا توحيد الربوبية لله.

واللام إذا أرجعتها للأولين الصلاة والنسك صار معناها الاستحقاق، **وإذا أرجعتها للأخير** صار معناها المِلك، ولهذا يقول أهل التفسير هنا (**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي**) لله استحقاقا، (**وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي**) لله ملكا وتدبيرا وتصرفا.

❁ ما هو الكوثر في قوله ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[الكوثر:١]؟ وما الذي تفيده الفاء في قوله (فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ)؟ وما وجه الدلالة في الآية على الذبح لله؟

(**الْكَوْثَرَ**) هو الخير العظيم الذي منه النهر الذي في الجنة.



(**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**) الفاء للسببية؛ يعني بسبب ذلك أشكر الله جل وعلا بتوحيده بأن صلّ إلى ربك الذي أعطاك ذلك الخير الكثير وتقرب إليه بالنحر وبنَسك النسائك لله سبحانه؛ لأن الخير إنما أسداه جل وعلا وحده.

وقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[الكوثر: ٢]) أمر بالصلاة وأمر بالنحر، وإذا أمر به فهو داخل في حد العبادة؛ لأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والصلاة أمر بها الله جل وعلا وهي محبوبة لديه إذن، والنحر أمر الله جل وعلا به فهو محبوب ومرضي له إذن، فيكون إذن النحر عبادة لله جل وعلا. فوجه الدلالة من هذه الآية على الذبح أن النحر عبادة وقد قال الله جل الله وعلا (**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**) يعني وانحر لربك، فصار النحر لغير الله والذبح لغير الله خارج عمّا أمر الله به، فهو إذا صرف للعبادة لغير الله جل وعلا.

❁ قوله ﷺ (لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِــغَيْرِ اللهِ)، ما وجه مناسبة الحديث للباب؟، وما المقصود بالذبح لغير الله؟

قوله: (لِــغَيْرِ اللهِ)، اللام هنا تعليلية، يعني من أجل غير الله تقربا إليه وتعظيما.

وهذا وجه مناسبة هذا الحديث لباب ما جاء في الذبح لغير الله: يعني من الوعيد، وأنه شرك، ومن الوعيد أن صاحبه ملعون.

❁ ما معنى اللعن المذكور في قوله ﷺ (لَعَنَ اللهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللهِ)؟ وما الذي يفيده اللعن؟

اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله جل وعلا.

وإذا كان إخبارا بأن الله هو الذي لعن فيكون قد طرد وأبعد من رحمة الله الخاصة، أمّا الرحمة العامة فهي تشمل المسلم والكافر وجميع أصناف الخلق.

وإذا كان دعاء باللعن عليه من النبي عليه الصلاة والسلام فإن هذا يدل على أن الذبح لغير الله من الكبائر، ومن المعلوم اقتران ذنب من الذنوب باللعن يدل على أنه من الكبائر من كبائر الذنوب.

باب لا يُذبح لله في مكان يُذبح فيه لغير الله

❁ ما صورة المسألة في قوله: (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله)؟ وما الذي يفيده النهي؟ وما الذي تفيده الباء (بمكان)؟

صورة المسألة: أنّ مكانا ما يذبح فيه لغير الله، مثلا عند قبر أو عند مشهد أو عند مكان معظّم، المشركون أو الخرافيون اعتادوا أن يكون هذا المكان مما يتقربون فيه بالذبح لهذا الصنم أو الوثن أو القبر أو البقعة...إلى آخره، فإذا كانوا يتقربون لهذا المكان للقبر أو نحوه، ويذبحون لصاحب هذا القبر يعني من أجله، فإنه لا يحل أن يذبح المسلم الموحّد في هذا المكان، ولو كانت ذبيحته مخلصا فيها لله جل وعلا؛ لأنه يكون قد شابهَ أولئك المشركين في تعظيم الأمكنة التي يتعبدون فيها بأنواع العبادات ويصرفونها لغير الله جل وعلا.

فالذبح لله وحده دونما سواه بإخلاص في المكان الذي يتقرب فيه لغير الله لا يحلّ ولا يجوز؛ بل هو من وسائل الشرك ومما يغري بتعظيم ذلك المكان، **وحكمه أنه محرم ووسيلة من وسائل الشرك.**

وفي معنى النهي: قال بعض أهل العلم: يحتمل أن تكون على وجه النفي المشتمل على النهي، وقال بعضهم يحتمل أن تكون على وجه النهي.

والباء هنا لها معنى زائد على كلمة (في): وهذا المعنى الزائد أنها أفهمت معنى الظرفية ومعنى المجاورة جميعا؛ وهذان المعنيان مقصودان وهما:

- أن لا يذبح لله بمجاورة المكان الذي يذبح فيه لغير الله.
- ولا في نفس المكان الذي يذبح فيه لغير الله.

لأن الجميع فيها اشتراك مع الذين يذبحون لغير الله جل وعلا.

❁ وما حكم الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله؟

الذبح لله وحده دون ما سواه بإخلاص في المكان الذي يتقرب فيه لغير الله **لا يحلّ ولا يجوز؛** بل هو من وسائل الشرك ومما يغري بتعظيم ذلك المكان، **وحكمه أنه محرم ووسيلة من وسائل الشرك.**

❁ ما وجه النهي عن الصلاة في قوله تعالى (لا تَقُم فِيهِ أَبَدَاً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ) وما مناسبة الآية للحديث عن الذبح في مكان يذبح فيه لغير الله؟

النهي عن القيام في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون، إرصادا ومحادة لله ورسوله وتفريقا بين المؤمنين، لأنه مكان أُقيم على الخيانة وعلى مضادة الإسلام وأهله، لهذا فإن مشاركتهم فيه



بالصلاة لا تجوز؛ لأنه إقرار لهم أو تكثير لسوادهم وإغراء للناس بالصلاة فيه، فنهى الله جل وعلا نبيه ﷺ ونهى المؤمنين عن أن يصلوا في مسجد الضرار.

ومناسبة الآية أن الله جل وعلا نهى عن أن يصلي النبي ﷺ في مسجد الضرار، ومعلوم أن صلاته عليه الصلاة والسلام وصلاة المؤمنين معه هي خالصة لله جل وعلا دون من سواه، ونُهوا مع أنهم مخلصون ليس عندهم نية الإضرار ولا التفريق ولا الإرصاد؛ لكن نهوا لأجل هذه المشاركة والمشابهة التي تغري بإتيان ذلك المكان.

وهذه هي الصورة الموجودة فيمن ذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله؛ فإنه وإن كان مخلصا لكن دعا إلى تعظيم ذلك المكان بفعله.

❁ لماذا جاء الإذن عن الصحابة بالصلاة في الكنيسة، وقد صلى عمر ﷺ في كنيسة بيت المقدس، والصحابة رضوان الله عليهم منهم من صلى ببعض كنائس البلاد، فصلاتهم في الكنائس لله جل وعلا أليست مشابهة للصلاة في مسجد الضرار أو للذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله؟

النهي عن صلاة النبي ﷺ في مسجد الضرار وعن الذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله هذا لأجل أن صورة العبادة واحدة، فصورة الذبح من الموحد ومن المشرك واحدة وهي إمرار السكين -آلة الذبح- على الموضع وإزهاق الروح وإراقة الدم في ذلك المكان، وكذلك صلاة النبي ﷺ والصحابة في مسجد الضرار مشابهة من حيث الصورة لصلاة المنافقين فيرجع الاختلاف إلى اختلاف ما في القلب، والنيات ومقاصد القلوب لا تُشرح للناس ولهذا تقع المفسدة ولا تحصل المصلحة.



وأما الصلاة في الكنيسة فإن صورة الفعل مختلفة؛ لأن صلاة النصارىٰ ليست علىٰ هيئة وصورة صلاة المسلمين، فيعلم من رأىٰ المسلم يصلي أنه لا يصلي صلاة النصارىٰ، وليس فيه إغراء بصلاة النصارىٰ ومشاركتهم فيها، فهذا الفرق بين المسألتين.

في الحديث ثَابِت بن الضّحّاكِ ﷺ، قال: نَذَرَ رَجُلٌ أَنْ يَنْحَرَ إِبلاً بِبُوَانَةَ، فسأل النبي ﷺ فقال: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيّةِ يُعْبَدُ؟». قالُوا: لاَ. قالَ: فهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أعْيَادِهِمْ؟ قالُوا: لاَ. قالَ رسول الله ﷺ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ»

❁ما دلالة السؤال في الحديث (هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أعْيَادِهِمْ)، على منع الذبح بأماكن ذبح المشركين؟ وما العيد؟ وما علاقة المنع بأعياد المشركين؟

هذا السؤال في الحديث يدل على أنه لو وجد هذا الوصف وهو أنه كان ثمة وثن من أوثان الجاهلية يعبد لم يجز النحر في ذلك الموضع، وهو المراد من إيراد هذا الحديث في الباب.

والعيد هو: المكان أو الزمان الذي يعود أو يعاد إليه، فالعيد قد يكون مكانيا بأنه اسم للمكان الذي يُعتاد المجيء إليه ويرجع إليه في وقت معتاد، ولهذا قال النبي ﷺ في المكان «**لا تجعلوا قبري عيدا**»، يعني هذا المكان لا تجعلوه مكانا تعتادون المجيء إليه، وكذلك الأزمنة تكون أعيادا لأنه تعود في وقت معين، فقوله (**هلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أعْيَادِهِمْ؟**)؛ يعني عيد مكاني؛ لأنه قال (**هلْ كَانَ فِـيهَا عِيدٌ مِنْ أعْيَادِهِمْ؟**) ويحتمل أيضا أن يكون عيدا زمانيا.

وعلاقة المنع بالأعياد أن أعياد المشركين من ناحية الأمكنة أو الأزمنة راجعة إلى أديانهم الشركية، فهم يتعبدون في تلك الأعياد بعباداتهم الشركية ومنها التقرب بالذبح وإراقة الدماء، فمنع لأنه مشاركة لهم في الفعل الظاهر ولو كان مخلصا لا يذبح إلا لله أو لا يصلي إلا لله جل وعلا.



ما سبب الإذن بالوفاء بالنذر في الحديث؟

سبب الإذن بالوفاء بالنذر أنّ ما قبله ليس بمعصية، والاستفصال يدل على أن الذبح لله في مكان فيه وثن يُعبد أو فيه عيد من أعياد المشركين يدل ذلك على أنه معصية لله جل وعلا، وبهذا يستقيم ما أراده الشيخ رحمه الله من الاستدلال والاستشهاد بهذا الحديث تحت ذلك الباب.

باب من الشرك النذر لغير الله تعالى

❁ ما هو النذر؟ ولماذا كان النذر لغير الله شركا؟ وهل هو من الشرك الأصغر أم الأكبر؟

(**النذر**) هو إيجاب عبادة على المكلف، **ووجه كون النذر شركا** بالله جل وعلا أن النذر المطلق والمقيد إيجاب عبادة على المكلف؛ وإلزام المكلف نفسه بعبادة فإذا صرفت لغير الله فهي شرك في العبادة.

والدليل على أن النذر عبادة أن الله جل وعلا مدح الذين يوفون بالنذر فقال: (**يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا**) فهذا يدل على أن الوفاء بالنذر أمر مشروع واجب أو مستحب، وهو محبوب لله جل وعلا؛ من حيث الدلالة، وإلا فإن الوفاء بالنذر واجب لأنه إلزام بالطاعة، وقد قال عليه الصلاة والسلام (**من نذر أن يطيع الله، فليطعه**). والنذر لغير الله من الشرك الأكبر.

❀ كيف يكون النذر مكروها، وقد كره النبي ﷺ النذر وسئل عنه فكرهه وقال «إنه لا يأتي بخير»، فكيف يكون عبادة؟

النذر قسمان: نذر مطلق، ونذر مقيد.

النذر المطلق: هو أن يلزم العبد نفسه بعبادة لله جل وعلا، هكذا بلا قيد؛ فيقول مثلا: لله علي نذر أن أصلي ركعتين، ليس في مقابله شيء يحدث في المستقبل أو شيء حدث له، فيلزم نفسه بعبادة صلاة أو عبادة صيام أو نحو ذلك، فهذا النذر المطلق وهو إلزام العبد نفسه بطاعة الله جل وعلا أو بعبادة ليس هو الذي كرهه عليه الصلاة والسلام.

النذر المقيد: الذي يجعل إلزام نفسه بطاعة لله جل وعلا مقابلا لشيء يحدثه الله جل وعلا له ويقدره ويقضيه له، يقول مثلا إن شفى الله مريضي فلله علي نذر أن أتصدق بكذا وكذا، وهذا الذي وصفه النبي عليه الصلاة والسلام بقوله (**إنما يستخرج به من البخيل**) لأن البخيل هو الذي لا يعمل العبادة حتى يقاضي عليها، فصار ما أعطاه الله من النعمة أو دفع عنه من النقمة كأنه في حس ذلك الناذر قد أعطي الأجر وأعطي ثمن تلك العبادة.

❀ ما حكم ما يظنه كثير من الناس أن حاجاتهم لا تحصل إلا بالنذر؟

هذا المعنى يستحضره كثير من العوام: وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله وغيره من أهل العلم: إن من ظن أنه لا تحصل حاجة من حاجاته إلا بالنذر فإنه في اعتقاد محرم؛ لأنه ظن أن الله لا

يعطي إلا بمقابل، وهذا سوء ظن بالله جل وعلا، وسوء اعتقاد فيه سبحانه وتعالى؛ بل هو المتفضل المنعم على خلقه.

❁ ما الضابط في أنواع الاستدلال على أن عملا من الأعمال صرفه لغير الله جل وعلا شرك أكبر؟

القاعدة في أنواع الاستدلال على أن عملا من الأعمال صرفه لغير الله جل وعلا شرك أكبر، أنها على نوعين:

♦**النوع الأول**: كل دليل من الكتاب أو السنة فيه إفراد لله بالعبادة يكون دليلا على أن كل عبادة لا تصلح إلا لله، هذا نوع من الأدلة.

فكل دليل فيه إفراد الله جل وعلا بالعبادة، يصلح أن تستدل به على أن عبادةً ما لا يجوز صرفها لغير الله جل وعلا، بأي مقدمة؟ بأن تقول دل الدليل على وجوب صرف العبادة لله وحده، وعلى أنه لا يجوز صرف العبادة لغير الله جل وعلا، وأن من صرفها لغير لله جل وعلا فقد أشرك، والنذر عبادة من العبادات، فهي داخلة في ذلك النوع من الأدلة.

♦ **النوع الثاني من الاستدلال**: أن تستدل على المسائل بأدلة خاصة وردت فيها، فتستدل على الذبح بأدلة خاصة وردت في الذبح، وتستدل على وجوب الاستغاثة بالله وحده دون ما سواه بأدلة خاصة بالاستغاثة وعلى أدلة خاصة بالاستعاذة ونحو ذلك.

فالأدلة على وجوب إفراد الله بجميع أنواع العبادة تكون إجمالاً وتفصيلاً:



الأول: استدلال عام: ويكون بكل آية أو حديث فيها أمر بإفراد الله بالعبادة والنهي عن الشرك فتُدخل هذه الصورة فيها لأنها عبادة بجامع تعريف العبادة.

والثاني: استدلال خاص: بأن تستدل على المسألة بخصوص ما ورد فيها من الأدلة، لهذا قال الشيخ رحمه الله هنا (**باب الشرك النذر لغير الله**) واستدلّ عليها بخصوص أدلة وردت في النذر.

ومن الفقه الدّقيق في التصنيف وفقْهِ الأدلة الشرعية: أن المستدل على مسائل التوحيد ينبغي له أن يدرك التنويع؛ لأن في تنويع الاستدلال وإيراد الأدلة من جهة ومن جهة أخرى وثالثة ورابعة فيه ما يضعف حجة الخصوم الذين يدعون الناس لعبادة غير الله، وللشرك به جل وعلا، وإذا أتيت مرة بدليل عام ومرة بدليل خاص ونوعت فإنه يضيق عليه، أما إذا ليس ثم دليل واحد فربما أوّلَه لكَ أو ناقشك فيه فيحصل ضعف عند المستدل، أما إذا أنتبه لمقاصد أهل العلم وحفظ الأدلة فإنه يقوى على الخصوم.



باب من الشرك الاستعاذة بغير الله

❁ ما معنى الاستعاذة؟ وهل هي من أنواع العبادة؟ ولماذا ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بعد الذبح والنذر؟

الاستعاذة: طلب العياذ، يقال: استعاذ إذا طلب العياذ، والعياذ طلب ما يؤمن من الشر، كالفرار من شيء مخوف إلى ما يؤمِّن منه، أو إلى مَن يؤمِّن منه، ويقابلها اللياذ: وهو الفرار إلى طلب الخير أو التوجه والاعتصام والإقبال لطلب الخير.

فهادة: (استغاث، واستعاذ، واستعان)، وأشباه ذلك فيها طلب، والطلب من أنواع التوجه والدعاء، والدعاء إذا طلب فإن هناك مطلوبا منه، أو المطلوب منه لما كان أرفع درجة من الطالب كان الفعل المتوجه إليه يسمى دعاء.

وهكذا: فإن كل ما فيه طلب نقول: إنه دعاء. وإذا كان دعاء فإنه عبادة والعبادة لله جل وعلا بالإجماع، ولما دلت عليه النصوص: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨]، ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[الإسراء:٢٣]، ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[النساء:٣٦]، فكل فعل من الأفعال، أو قول من الأقوال فيه طلب فهو عبادة، لم؟ لأنه دعاء؛ ولأن كل طلب دعاء.

فالذي يطلب شيئا: إذا طلبه من مقارِن له فيقال هذا التماس، وإذا طلبه ممن هو دونه يقال هذا أمر، وإذا طلبه ممن هو أعلى منه فهذا دعاء.

والمستعيذ والمستغيث: لا شك أنه طالب ممن هو أعلى منه لحاجته إليه، فلهذا كان فيه دليل أن الاستعاذة عبادة من العبادات العظيمة، وإذا كانت كذلك؛ فإن إفراد الله بها واجب.



والشيخ رحمه الله فصَّل في أفراد توحيد العبادة: وفصل في أفراد الشرك، فبين أصناف الشرك الأصغر، (القول والعمل)، وبيَّن أصناف الشرك الأكبر (العملي والاعتقادي)، فذكر الذبح لغير الله، وذكر النذر لغير الله، والذبح والنذر عبادتان عظيمتان، وعبادة الذبح فعلية عملية، وعبادة النذر قولية إنشاءً وعملية وفاءً، فذكر العمليات، ثم القوليات، ثم عطف عليهما الاستعاذة بغير الله؛ لأنها تكون بالقول الذي معه اعتقاد، فهي مناسبة لأن تكون بعد النذر.

❁ما المقصود بـ (الغير) في قوله: (الاستعاذة بغير الله)؟

قوله: (من الشرك الاستعاذة بغير الله)، هذا الغير يشمل كل ما يتوجه الناس إليه بالشرك، ويدخل في ذلك بالأولية ما كان المشركون الجاهليون يتوجهون إليه بذلك، من الجن والملائكة، ومن الصالحين، ومن الأشجار والأحجار، ومن الأنبياء والرسل إلى غير ذلك.

❁ هل الاستعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه يدخل في معنى الشرك؟ وهل هي ممنوعة بإطلاق؟

من أهل العلم من قال: الاستعاذة لا تصلح إلا لله، وليس ثَم استعاذة بمخلوق فيما يقدر عليه؛ لأن الاستعاذة توجُّه القلب واعتصامه والتجاؤه ورغبه ورهبه، ففيها هذه المعاني جميعاً، وهذه المعاني جميعاً لا تصلح إلا لله جل وعلا.

وقال آخرون: قد جاءت أدلة بأنه يُستعاذ بالمخلوق فيما يقدر عليه؛ لأن حقيقة الاستعاذة طلب انكفاف الشر.

- **والاستعاذة فيها عمل ظاهر وعمل باطن:**

فالعمل الظاهر: أن يطلب العوذ من الشر، أو أن ينجو من هذا الشر.

وفيها عمل باطن: وهو توجُّه القلب وسكينته واضطراره وحاجته إلى هذا المستعاذ به، وتفويض أمر نجاته إليه.



فإن كانت في الظاهر فقط: مع طمأنينة القلب بالله، وتوجه القلب إليه سبحانه، وأن هذا العبد إنما هو سبب، فإن هذه تكون استعاذة بالظاهر فقط، وأما القلب فإنه لم تقم به حقيقة الاستعاذة بغير الله في الباطن، وإذا كان كذلك كان هذا جائزاً، فإن المخلوق قد يملك شيئا من ذلك، فلا تكون الاستعاذة به شركاً، وقد تكون شركا أكبر إذا كان ذلك المخلوق لا يقدر على أن يعيذ، أو لا يقدر على الإعاذة مما لا يُطلب إلا من الله جل وعلا.

❁ **ما معنى (رهقاً) في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن:٦]؟ وما مناسبة الآية للباب؟.**

- **(رهقاً) هنا تعني**: خوفا واضطرابا في القلب أوجب لهم الإرهاق في الأبدان والأرواح، فلما كان كذلك تعاظمت الجن وزاد شرها.
- **وقد كان المشركون**: يعتقدون أن لكل مكان مخوف جني، أو سيد من الجن يخدم ذلك المكان ويسيطر عليه، فكانوا إذا نزلوا واديا أو مكانا قالوا نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يعنون الجن، فعاذوا بالجني لأجل أن يكف عنهم الشر مدة مقامهم.

وقوله جل وعلا: (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) يعني: زاد الجن الإنس خوفا واضطرابا وتعباً في الأنفس والأرواح، وإذا كان كذلك كان هذا مما هو من العقوبة عليهم، والعقوبة إنما تكون على ذنب.

فدلت الآية: على ذم أولئك، وأنهم إنما ذُموا لأنهم صرفوا تلك العبادة لغير الله جل وعلا، والله سبحانه أمر أن يُستعاذ به دون ما سواه فقال سبحانه: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[الفلق:١]، وقال ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[الناس:١]، وقال ﴿و قل رَبِّ أعوذ بك من همزات الشياطين * وأعوذ بك رَبِّ أن يحضرون﴾[المؤمنون:٩٧-٩٨] والآيات في ذلك كثيرة. فعُلم من



التنصيص على المستعاذ به وهو الله جل وعلا: أن الاستعاذة حصلت بالله وبغيره، وأن الله أمر نبيه أن تكون استعاذته به وحده دون ما سواه.

وفي قوله: (فَزَادُوهُمْ رَهَقًا) تفسير آخر: وهو قول قتادة وبعض السلف أن (رهقاً) معناها إثما؛ (فزادوهم إثما) وهذا أيضا ظاهر من جهة الاستدلال إذا كانت الاستعادة موجبة للإثم، فهي إذن عبادة إذا صُرفت لغير الله، وعبادة مطلوبة إذا صرفت لله جل جلاله، وهذا يستقيم مع الترجمة من أن الاستعاذة بغير الله شرك.

❁ ما وجه الدلالة في قوله ﷺ «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التّامّاتِ مِنْ شَرّ مَا خَلق لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ، حَتّىَ يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ» ؟.

- **وجه الدلالة من هذا الحديث**: أن النبي ﷺ بيّن فضل الاستعاذة بكلمات الله، وجعل المستعاذ منه المخلوقات الشريرة، والمستعاذ به هو كلمات الله، وقد استدل أهل العلم حين ناظروا المعتزلة وردوا عليهم بهذا الحديث، على أن كلمات الله ليست بمخلوقة، قالوا: لأن المخلوق لا يستعاذ به، والاستعاذة به شرك.كما قاله الإمـام أحمد وغيره من أئمة السنة.

فوجه الدلالة من الحديث: إجماع أهل السنة على الاستدلال به على أن الاستعاذة بالمخلوق شرك، وأنه لما أمر بالاستعادة بكلمات الله فإن كلمات الله جل وعلا ليست بمخلوقة.

❁ ما معنى قوله ﷺ (أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التّامّاتِ مِنْ شَرّ مَا خَلَقَ)؟.

- **المقصود بـ (كَلِمَاتِ اللهِ التّامّات) هنا**: الكلمات الكونية التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، وهي المقصودة بقوله جل وعلا: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾[الكهف:١٠٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[لقمان:٢٧]، وقوله: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا

﴿وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾[الأنعام:١١٥]، فهذه الآية وأشباهها في الكلمات الشرعية، وكذا في الكلمات الكونية.

وقوله (مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ) يعني: مِن شر الذي خلقه الله جل وعلا، وهذا العموم المقصود منه شر المخلوقات التي فيها شر، فليست كل المخلوقات فيها شر؛ بل ثَمَّ مخلوقات طيبة ليس فيها شر، كالجنة والملائكة والرسل والأنبياء والأولياء، وهناك مخلوقات خُلقت وفيها شر، فاستُعيذ بالله جل وعلا وبكلماته من شر الأنفس الشريرة والمخلوقات التي فيها شر.

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو أن يدعو غيره

ما مفهوم الاستغاثة؟، وما ضابط الاستغاثة التي هي من الشرك الأكبر؟، وما معنى قوله (باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره)؟.

الاستغاثة هي: طلب الغوث، والغوث يحصل لمن وقع في شدة وكرب يخشى معه المضرّة الشديدة أو الهلاك، فيقال: أغاثه، إذا فزع إليه وأعانه على ما به وخلصه منه، كما قال جل وعلا في قصة موسى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾[القصص:١٥]، يعني: طلب مَن كان من شيعة موسى الغوث من موسى على من كان عدوا لهما جميعا، فأغاثه موسى عليه السلام.

وطلب الغوث: لا يصلح إلا من الله فيما لا يقدر عليه إلا الله جل جلاله؛ لأن الاستغاثة يمكن أن تطلب من المخلوق لأنه يقدر عليها.

والضابط في معنى الاستغاثة الشركية: أن يُقال: (الاستغاثة بغير الله شرك أكبر إذا استغاث به فيما لا يقدر عليه إلا الله)، أما إذا استغاث بغير الله فيما يقدر عليه غير الله؛ فإنه لا يكون



شركا؛ لأنه ما اعتقد في المخلوق شيئا لا يصلح إلا لله جل جلاله، كما حصل في قصة صاحب موسى عليه السلام.

فإذن نقول:

- إذا كانت الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهي شرك أكبر.
- وإذا كانت فيما يقدر عليه المخلوق فهي جائزة، كما حصل من صاحب موسى إذِ استغاث بموسى عليه السلام.

قوله: (باب من الشرك): يعني الشرك الأكبر، وقوله: **(أن يستغيث بغير الله)** هذا لأن الاستغاثة طلب، وهي أحد أفراد الدعاء، والدعاء عبادة.

قوله: (أو يدعو غيره) هذا عام، يشمل الاستغاثة، ويشمل الاستعاذة، ويشمل أصنافا كثيرة من أنواع الدعاء، **وفي قوله: (أو يدعو غيره)** بعد قوله: **(أن يستغيث بغير الله)** فيه عطف للعام على الخاص، ومن المعلوم أن الخاص قد يُعطف على العام، وأن العام قد يُعطف على الخاص.

❁ما الفرق بين دعاء المسألة، ودعاء العبادة؟، وما فائدة هذا التقسيم؟.

الدعاء عبادة، وهو نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

☜ **فدعاء المسألة**: ما كان فيه طلب وسؤال، فيرفع يديه لله جل وعلا ويدعوه، فهذا يسمى دعاء مسألة، وهو الذي يغلب عند عامة المسلمين في تسمية الدعاء.

☜ **ودعاء العبادة**: كما قال جل وعلا: ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨]، يعني: لا تعبدوا مع الله أحدا، وكما قال النبي ﷺ: «**الدعاءُ هو العبادة**».

قال العلماء: (دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة، ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة).



دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة: يعني: أن من سأل الله جل وعلا شيئا فهو داعٍ دعاء مسألة، وهذا متضمن بالضرورة أنه يعبد الله؛ لأن دعاء المسألة أحد أنواع العبادة، فيكون دعاء المسألة متضمن لدعاء العبادة؛ لأن الله جل وعلا يحب من عباده أن يسألوه.

ودعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة: كمن يصلي، فإنه يلزم من إنشائه عبادة الصلاة أنه يسأل الله بها القبول والثواب، فيكون دعاء العبادة مستلزم لدعاء المسألة.

- **إذا تقرر ذلك:** فإن هذا التفصيل والتقسيم مهم جدا في فهم الحجج التي يريدها أهل العلم؛ لأنه قد حصل من الخرافيين والداعين إلى الشرك أنهم يؤولون الآية التي في الدعاء بالمسألة، أو الآية التي في المسألة بالدعاء.

وإذا تبين لك ذلك: فإنه لا انفكاك في الحقيقة بين دعاء المسألة ودعاء العبادة، فهذا هو ذاك، إما بالتضمُّن أو باللزوم، ومعلوم أن دلالات التضمن واللزوم دلالات لغوية واضحة، جاءت في القرآن، وجاءت في السنة.

❁ ما وجه الدلالة في قوله تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[يونس: ١٠٦ -١٠٧].

- **في قوله تعالى:** (**وَلا تَدْعُ**) **نهي:** وهذا النهي توجه إلى الفعل (**تَدْعُ**) وإذا كان كذلك: فإنه يَعُمُّ أنواع الدعاء، وقد مرَّ بنا أن الدعاء منه دعاء مسألة، ومنه دعاء عبادة؛ لأن النكرة إذا جاءت في سياق النهي، أو النفي، أو في سياق الشرط، فإنها تعمّ، و(**تَدْعُ**) هنا نكرة؛ لأنها فعل مشتمل على مصدر، فهذا يعم نوعي الدعاء، وهذا أحد مرادات الشيخ رحمه الله من الاستدلال بهذه الآية.



فيكون قوله: (**وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ**)، نهي من الله جل وعلا أن يُتوجه لغيره بدعاء المسألة، أو بدعاء العبادة، أو بأي نوع من أنواع العبادات، ويدخل في ذلك الاستعاذة، والاستغاثة.

وكان أعظم في هذا النهي: أنه متوجه إلى المصطفى ﷺ الذي هو إمام المتقين، وإمام الموحدين.

قوله: (**مَا لا يَنْفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ**) يعني: الذي لا ينفعك ولا يضرك، و(**مَا**) تشمل العقلاء وغير العقلاء، فتشمل الملائكة والأنبياء والرسل والصالحون ممن يعقل، وتشمل ما لا يعقل: كالأصنام والأحجار والأشجار.

وقوله جل وعلا لنبيه: (**فَإِنْ فَعَلْتَ**) يعني: إن دعوت مِن دون الله أحدا، وذلك الأحد موصوف بأنه لا ينفعك ولا يضرك، (**فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ**)، يعني: تكون بسبب تلك الدعوة من الظالمين، والظالمون جمع تصحيح للظالم، والظالم اسم فاعل للظلم، والظلم المراد به هنا الشرك، كما قال جل وعلا ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[لقمان:١٣]، وهذا إذا كان في حق النبي ﷺ الذي كمّل الله له التوحيد، فهو تخويف لمن هو دونه ممن لم يُعط العصمة من ذلك.

ثم قال: (**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ**)، قوله: (**بِضُرٍّ**) هنا أيضا جاءت نكرة في سياق الشرط، فيعم جميع أنواع الضر، سواء كان ضُرا في الدين، أو كان ضرا في الدنيا، من جهة الأبدان، أو من جهة الأموال، أو من جهة الأولاد، أو من جهة الأعراض، أو من أي شيء، (**فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ**) فإن في الحقيقة الذي يكشف الضر هو الله جل وعلا، ولا يكشف البلوى إلا الله سبحانه وتعالى، وإذا كان المخلوق يقدر على ذلك الكشف فإنما هو من جهة أنه سببٌ، جعله الله سببا يقدر على أن يكشف بإذن الله جل وعلا، وإلا فالكاشف في

الحقيقة هو الله جل وعلا، والمخلوق ولو كان يقدر فإنما يقدر بإقدار الله له، إذ هو سبب من الأسباب.

إذا تبين ذلك: ظهر لك وجه استدلال المصنف رحمه بهذه الآية، ومناسبة الآية لترجمة الباب.

❁لماذا خصَّ طلب الرزق في قوله: (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ)؟، وما تقدير تركيب الكلام؟.

الاستغاثة أو الدعاء من أعظم ما يتعلق به الخلق إذا كان من جهة طلب الرزق؛ لأن طلب الرزق أعظم أسباب الحياة، فإذا لم يكن عنده رزق فإنه يوشك على الهلاك، ولهذا ذكر الإمام هذه الآية التي فيها توحيد طلب الرزق؛ لأن معظم حال المستغيثين إنما هي لطلب الرزق.

والرزق: اسم عام يشمل كلَّ ما يصلح أن يُمنح ويعطى، فيدخل في ذلك الصحة والعافية، ويدخل في ذلك المال والطعام، ويدخل في ذلك البيت والدواب، ويدخل في ذلك أنواع ما يحتاجه المرء.

وتقدير تركيب الكلام: (فابتغوا الرزق عند الله)، و(**ابتغوا**) فعل أمر، و(**الرزق**) مفعول و(**عند الله**) الأصل أن يتأخر على المفعول؛ قال علماء المعاني من علوم البلاغة: إن تقديم ما حقُّه التأخير يفيد الاختصاص، فابتغوا عند الله الرزق واجعلوا ذلك الابتغاء مختصا بالله جل وعلا، هكذا يفهم العربي هذه الآية: (**فابتغوا عند الله الرزقَ**)، فلا تستغيثوا بغيره في طلب رزق، ولا تستنجدوا بغيره في طلب رزق، وإنما ذلك كلله لله جل وعلا.

ثم قال: (**واعبدوهُ**) ليجمع أصناف السؤال بما يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة.



❀ ما وجه مناسبة قوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) للباب؟

دلالة الآية ظاهرة في الدعاء: لأن الله قال: **(ومن أضل ممن يدعواْ من دون الله)** فهي ظاهرة في أن ثَمَّ داعٍ، وثَمَّ مدعو، والمدعو غير الله جل وعلا، فجاء الوصف بأبشع الضلال على مَن دعا من دون الله أمواتا غير أحياء، والدليل على أنه أراد الأموات ولم يرد الأصنام والأحجار والاشجار، أنه قال **(مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)** فجعل غاية الاستجابة إلى يوم القيامة؛ والمنع من الاجابة إلى يوم القيامة، وهذه في الأموات؛ لأن الميِّت إذا كان يوم القيامة نُشر وصار يسمع، ورُبما أجاب مَن طلبه إذْ يكون في ذلك المقام حي، وربما كان قادرا، وأما الميِّت -من هو في البرزخ- فهو الذي يصدق عليه وصف الله جل وعلا بقوله: **(مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)**.

ولفظ (مَن) في اللغة لمن يَعلم، وقوله: **(إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ)**، هذا الوصف ليس للأصنام، إنما هو للأموات، ثم قال: **(وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ)**، ولذلك قال جل وعلا في سورة النحل: ﴿ **أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ(٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾[**النحل**:٢١-٢٢].

❀ ما وجه مناسبة قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾ للباب؟

في الآية: أن اجابة المضطر في الدعاء إنما هي لله جل وعلا، قال **(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)**، وهذا دعاء المسألة، قال: **(وَيَكْشِفُ السُّوءَ)** وكشف السوء يكون تارة بالاستغاثة، وتارة بغير ذلك، ولهذا يكون هذا القدر من الآية يصلح كما ترجم به المؤلف رحمه الله من اللفظين، لفظ الاستغاثة والدعاء، في قوله: **(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضطَرَّ إِذَا دَعَاهُ)** فهذا في دعوة غير الله معه،

وقوله: ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ فهذا في الاستغاثة، قال بعدها: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ﴾ وهذا استفهام إنكاري، ينكر عليهم أن يتخذوا إلهاً مع الله، بأن يدعوا غير الله، أو يتوجهوا في كشف السوء لغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

❁مَن القائل: (قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق)؟ وما معنى الاستغاثة في الحديث؟ وما المراد بقوله ﷺ (إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله)؟، وما مناسبة الباب بما قبله وما بعده؟

- **القائل هو**: أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما جاء في بعض الروايات.
- **وقوله**: (**قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق**)، هذا طلبُ الصحابة الاستغاثة بالنبي ﷺ، وهذا طلبٌ جائز؛ لأنهم طلبوا الإغاثة من النبي ﷺ فيما يقدر عليه؛ لأنه ﷺ في هذا المقام يقدر أن يُغيثهم بالأمر بقتل هذا المنافق، أو الأمر بسجنه، أو بتهديده؛ لأنه كان يؤذي المؤمنين، فاستغاثتهم برسول الله ﷺ كانت فيما يقدر عليه، لكن النبي ﷺ علمهم الأدب في ذلك، وعلمهم القول الأكمل في ذلك حيث قال: (**إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله**).
- وقوله ﷺ (**إنه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله**): فيه أن حقيقة الاستغاثة على وجه الكمال إنما هي بالله جل وعلا، لا بنبيه ﷺ، وكان قد حصل منهم نوع التفات للنبي عليه الصلاة والسلام فيما يقدر عليه، فبين لهم أن الواجب عليهم أن يستغيثوا بالله جل وعلا أولاً، فقال: (**إنه لا يستغاث بي**) وقوله: (**لا يستغاث بي**) هذا نفي فيه معنى النهي؛ يعني: (لا تستغيثوا بي، إنما استغيثوا بالله في هذا الأمر)، وإذا أغاثهم الله جل وعلا كفّ شر ذلك المنافق عنهم.

- **وهذا الباب ظاهر في المناسبة لما قبله ولما بعده أيضا**: في أنّ الاستغاثة بغير الله نوع من أنواع الدعاء، وأن الدعاء عبادة، وأن الاستغاثة عبادة، وصرف العبادة لغير الله جل وعلا كفر وشرك.

باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * ولا يستطيعون لهم نصرًا وَلَاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾

❁ما مناسبة ذكر هذا الباب لكتاب التوحيد؟

هذا الباب إيراده من أحسن الإيرادات وأعظمها فقها ورسوخا في العلم؛ ذلك أنّ برهان وجوب توحيد الله جل وعلا في إلـهيته هو ما رُكِزَ في الفِطَر، مِن أن الله جل وعلا واحد في ربوبيته، والربوبية يقر بها المشركون، ويقر بها كل أحد، فهي البرهان على أن المستحق للعبادة هو من توحَّد في الربوبية، فهذا الباب والباب الذي بعده أيضاً برهان لاستحقاق الله العبادة وحده دون ما سواه، بدليلٍ فطريٍ، ودليلٍ واقعيٍ، ودليلٍ عقليٍ.

ومن المعلوم: أن الأدلة العقلية عندنا أهل السنة والجماعة نأخذها من الكتاب والسنة؛ لأن في الكتاب والسنة من الأدلة العقلية ما يغني عن تكلُّف أدلة عقلية أخرىٰ لمن تأمل ذلك في نصوص الوحيين.

فهذا الباب: في بيان أن الذي يخلق هو الله وحده، والذي يرزق هو الله وحده، والذي يملك هو الله وحده، وأن غير الله جل وعلا ليس له نصيب من الخلق، وليس له نصيب من الرَّزق، وليس له نصيب من الإحياء، وليس له نصيب من الإماتة، وليس له نصيب من الأمر، وليس له ملك حقيقي في أمر من الأمور، حتىٰ أعلىٰ الخلق مقاما وهو النبي ﷺ قال له الله جل وعلا (لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ)، يعني: لست مالكا لشيء من الأمر، ليس من الأمر شيء تملكه.



فالذي يملك: هو الله جل وعلا، فإذا كان النبي ﷺ يُنفىٰ عنه ذلك، فإنّ نفيه عمن هو دونه من باب أولىٰ، والذين توجّهوا إلىٰ أصحاب القبور، أو إلىٰ الصالحين والأولياء والأنبياء، في داخلهم زعْمٌ بأنهم يملكون أشياء، إمّا أن يملكوا شيئا من الرزق، أو يملكوا شيئا من التوسط والشفاعة بدون إذن من الله جل وعلا ومشيئته.

اذكر بعض الأدلة والبراهين العقلية في القرآن الكريم على أنّ المستحق للعبادة هو الله جل وعلا وحده دون ما سواه؟.

من الأدلة والبراهين: ما في القرآن من أدلة فيها إقرار المشركين بتوحيد الربوبية، وكل ذلك النوع من الأدلة فيه دليل علىٰ أنَّ المستحق للعبادة هو من أقررتم له بالربوبية.

ومن الأدلة والبراهين على ذلك: ما في القرآن من أن الله جل جلاله نصر رسله وأولياءه علىٰ أعدائهم، وأنّ كل طائفة من طوائف الشرك ذلَّت وخضعت وغُلبت أمام طوائف أهل الإيمان، وأمام جند الله جل وعلا من الرسل، وأتباع الرسل والأنبياء، **وهذا نوع آخر من الأدلة:** أنه ما مِن طائفة موحِّدة بعث الله جل وعلا إمامها ورسولها بقتال المشركين إلا وظهرت عليهم، وغلبتهم، حتىٰ صارت العاقبة لهم، وهذا أمر في القرآن كثير، وأدلته كثيرة من قصص الأنبياء، وقصص القرىٰ، وكل قرية خالفت رسولها عوقبت، فهذا دليل علىٰ أن التوحيد هو الحق وأنّ الشرك باطل.

ومن الأدلة والبراهين في القرآن: نوع آخر من الأدلة، في أن المخلوق ضعيف، وكل مكلف يعلم مِن نفسه الضعف، وأنه جاء إلىٰ الحياة بغير اختياره؛ بل الله جل وعلا هو الذي أتىٰ به إلىٰ هذه الحياة، وأنه سيخرج من هذه الحياة بغير اختياره أيضا، فهو أيضا مقهور، ويعلم قطعا أن



الذي قهره وأذلَّه وجعله علىٰ هذه الحالة ليس هو تلك الآلهة، إنما هو الله جل وعلا وحده، هو الذي يحيي ويميت، وهذا إقرار عام يعلمه كل أحد مِن فطرته.

ومن الأدلة و البراهين كذلك: أنّ الله جل وعلا له الأسماء الحسنىٰ، وله الصفات العلا، وأنه ذو النعوت الكاملة، وذو النعوت الجليلة، وهو سبحانه له الكمال المطلق في كل اسم له، وفي كل نعت ووصف له، له الكمال المطلق الذي لا يعتريه نقص في وجه من الوجوه، فهذا الباب ذكر فيه الشيخ رحمه الله أحد أنواع أدلة الربوبية، أو براهين التوحيد، وأن الله جل وعلا هو الواحد في ربوبيته.

ولهذا قال جل وعلا: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[يونس:٣١]؛ يعني: أتقرون بأن الله واحد في ربوبيته، فلا تتقون الشرك به؟ ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾ باعترافكم وبإيقانكم، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ﴾[يونس:٣٢]، وهذا نوع احتجاج بما أقروا به، وهو توحيد الربوبية علىٰ ما أنكروه، وهو توحيد الإلـهية.

كذلك الآيات العظيمة في سورة النمل: قال جل وعلا: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ للهَّ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى ءَآللهَّ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللهَّ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[النمل:٥٩-٦٠].

فقوله: (**أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِّ**) هنا إنكار عليهم، لأن ما سبق يقرون به، (**أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ**)، فيقرون بأن الذي خلقها هو الله، فكيف يتخذون إلها مع الله، فكان هذا إنكار عليهم، (**بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ**) يعني: يعدلون بالله غيرَه، أو يعدلون غير الله جل وعلا به؛ يعني: يساوون هذا



بهذا، أو (يَعْدِلُونَ) يعني: ينصرفون عن الحق إلى غيره، فكيف يعدلون عن الحق إلى غيره، أو كيف يعدلون بالله غيره من الآلهة، وهكذا الآية التي بعدها ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾[النمل:٦١].

فكان جواب المشركين على هذا السؤال: (هو الله)، فقال جل وعلا ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[النمل:٦١]، ثم قال جل وعلا: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[النمل:٦٢] رجع من الآيات التي في الآفاق، وفيما حولهم، إلى الشيء الذي يعلمونه علم اليقين، ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾[النمل: ٦٢].

ثم قال جل وعلا: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَـهٌ مَّعَ الله تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ * أَمَّن يَبْدَؤُا الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَءِلَـهٌ مَّعَ الله قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[النمل:٦٣-٦٤].

وفي الحقيقة أنه لا برهان لهم: ولهذا قال في آية المؤمنون: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[المؤمنون:١١٧]، فكل إله، (لَا بُرْهَانَ لَهُ) يعني: لا حجة قائمة على إنه إلـه، وإنما اتخذه البشر بالطغيان وبالظلم، ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾[المؤمنون:١١٧]، فهذا الباب قائم على هذه الحجة.

ولهذا: فمن أعظم الحجة على المشركين وعلى الذين توجهوا إلى الأموات والمقبورين بطلب تفريج الكربات، وطلب إغاثة اللهفات، وطلب إنجاح الحاجات، وسؤال ما يحتاجه الناس، أعظم الحجة عليهم أنْ تحتج عليهم بتوحيد الربوبية.



وهذا البرهان برهان عظيم: ينبغي لك أن تتوسع في دلائله، وأن تعلم الحجة في القرآن منه؛ لأن القرآن كثيرا ما يحتجّ بهذا البرهان، وهو توحيد الربوبية، على ما ينكره المشركون، وهو توحيد الإلهية.

ومن ذلك ما ساقه الشيخ رحمه الله في هذا الباب: قال: (باب قول الله تعالىٰ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾).

أسئلة عامة

❁ هل يدخل في (باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله) ما يحصل، وخاصة في أوربا وأمريكا، من شراء كثير من المسلمين لكنائس قديمة ثم تعديلها لتكون مساجد، أو هدم الكنيسة وبناء مسجد مكانها؟.

لا يدخل في ذلك؛ لأن مسجد النبي ﷺ الذي فيه الصلاة مضاعفة، أُقيم على مكان فيه قبور المشركين، بعد أن نُبشت تلك القبور وأزيل الرفات وأقيم المسجد في ذلك المكان.

والكنيسة التي عُبد فيها غير الله جل وعلا إذا حُولت إلى مسجد، فهذا من أعظم الطاعات، ومِن أحب الأعمال لله جل وعلا.

والفرق بين هذه الحالة: وبين قوله ﷺ **(لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله)** أن الذبح صورته مشتركة، فالصورة الظاهرية للذبح واحدة، وإنما الاختلاف في النيات، ولهذا مُنع من ذلك، وأما عبادة المسلمين وصلاتهم وهيئة مساجدهم وجلوسهم، إلى آخر تلك الهيئات، فهو مخالف لما عليه النصارىٰ، فإبدال الكنيسة بمسجد هذا أمر مطلوب إذا تمكن المسلمون منه، وهذا الذي فعله المسلمون في الأندلس؛ بل وفي بعض البلاد الأخرىٰ كالشام ومصر.

❁ هل يجوز الذهاب للعلاج عند من يزعم أنه يعالج بمساعدة جن مسلمين، وهل هذه المساعدة من الجن للقارئ من الاستعانة الجائزة أم المحرمة؟

الاستعانة بالجن -سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين- وسيلة من وسائل الشرك، والاستعانة معناها طلب الإعانة، ولهذا فمن المتقرر عند أهل العلم أنهم لا يطلبون الإعانة من مسلمي الجن، فلم يطلب الصحابة رضوان الله عليهم الإعانة منهم، وهم أَوْلى أن تخدمهم الجن وأن تُعينهم.

والاستعانة بالجن: من أسباب إغراء الإنس بالتوسل إلى الجن، وبرفعة مقامه وبالاستمتاع به، وقد قال جل وعلا: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا﴾[الأنعام:١٢٨]، فحصل الاستمتاع -كما قال المفسرون- من الجن بالإنس؛ لأن الإنسي يتقرب إليه، ويخضع له، ويذل ويكون في حاجته، ويحصل الاستمتاع من الإنسي بالجني بأن يخدمه الجنيَّ، وقد يكون مع ذلك الاستمتاع ذبحٌ من الإنس للجن، و تقرب بأنواع العبادات، أو بالكفر بالله جل وعلا بإهانة المصحف أو بامتهانه أو نحو ذلك.

ولهذا نقول: أن تلك الاستعانة بأنواعها لا تجوز، منها ما هو شرك، وهي الاستعانة بشياطين الجن الكفار، ومنها ما هو وسيلة إلى الشرك وهو الاستعانة بمسلمي الجن.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (إن الجن قد تخدم الإنسيَّ)، وهذا المقام فيه نظر و تفصيل، ذلك أنه ذكر في آخر كتاب النبوات أن أولياء الله لا يستخدمون الجن إلا بما فعله معهم رسول الله r، بأن أمرهم ونهاهم، أما طلب خدمتهم وطلب إعانتهم فإنه ليس من سجايا أولياء الله،



وليس من أفعال أولياء الله، قال: (مع أنه قد تنفع الجنُّ الإنسَّ، وتقدم له بعض الخدمة) ونحو ذلك.

وهذا صحيح، فحصل أن المقام فيه تفصيل:

فإذا كان الاستخدام بطلب الخدمة فهذا وسيلة إلى الشرك، إذا توجه إلى جني مسلما، ولا يجوز أن يؤتى إلى أحد يقرأ، يُعرف عنه أنه يستخدم الجن المسلمين.

وإذا كانت الجن تخدم بعض الناس دون طلبه، فإن هذا قد يحصل؛ لكن لم يكن من خُلُق أولياء الله، ولم يكن مما سخّره الله جل وعلا لخاصة عباده، فلا بد أن يكون عند هذا نوع خلل، حتى كانت الجن تُكثر من خدمته وإخباره بالأمور ونحو ذلك.

فإذا كان ذلك بطلب منه: فهذا لا يجوز، وهذا نوع من أنواع المحرمات؛ لأنه نوع استمتاع، وإذا كان بغير طلب منه فينبغي له أن يستعيذ بالله من الشياطين، فيستعيذ بالله من شر مردة الجن؛ لأنه قد يكون بعد ذلك فيه مدخل عليه لأن يتوسل بالجن، أو أن يطلب هو استخدمهم.

إذا تبين ذلك: فإن خبر الجن عند أهل العلم ضعيف، لا يجوز الاحتجاج به عند أهل الحديث، وذكر ذلك أيضا الفقهاء، وهذا صحيح؛ لأنّ البناء على الخبر وتصديق الخبر هو فرع عن تعديل المخبِر، والجني غائب، وعدالته غير معروفة وغير معلومة عند السامع، فإذا بنى الخبر عن من جاء به له من الجن وهو لم يَرَهُمْ ولم يتحقق عدالتهم إلا بما سمع، وهي لا تكفي، فإنه قد يكون قد قَبِلَ خبر الفاسق، ولهذا قال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات:٦].

والذين يقبلون إخبار الجن وإعلامهم ببعض الحوادث حصل منهم مفاسد متنوعة كثيرة، حيث إنهم جزموا بصحة ما أخبرتهم به الجن، فربما حصل منهم قيل وقال، ويحصل بعد ذلك

من جرَّائِها مفاسد، وقد تفرقت بعض البيوت من جرّاء خبر قارئٍ جاهلٍ بأنَّ هذا الذي فعل كذا هو فلان، باعتبار الخبر الذي جاءه من الجن، ويكون الخبر الذي جاءه من الجني خبر كاذِب، ويكون هو قد اعتمد على نبأ هذا الذي لا يعلم عدالته، وبنى عليه وأخبر عليه، وصار من جرائه فُرقة واختلاف وشتات في البيوت.

ونعلم أنه قد ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم رحمه الله: أن إبليس ينصب عرشه على الماء، ويبعث سراياه، فيكون أحب جنوده إليه من يقول له (**فرَّقتُ بين المرأة وزوجها**)، وهذا في جملة التفريق بين المرأة وزوجها؛ لأنه هو الغالب، وأحب ما يكون لعدو الله أن يفرق بين المؤمنين، ولهذا جاء في الحديث الصحيح الذي رواه أيضا مسلم وغيره: أن النبي ﷺ قال: «**إن الشيطان أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**».

فهذه المسألة: يجب عليكم كطلبة علم أن تسعوا في إنكارها، وأن تبذلوا الجهد في إقامة الحجة على من يستخدم الجن ويتذرّع أن بعض العلماء أباح ذلك، وهذا وسيلة من وسائل الشرك بالله جل وعلا، وهذا مما يجب وَصّدُه، ووسائل الشرك يجب علينا أن ننكرها، وسائل الغواية يجب أن ننكرها، ووجود من يستخدم الجن ويعلن ذلك ويطلب خدمتهم بالإخبار فهذا مبني منه على الجهل في الحقيقة بالشرع، وعلى الجهل بوسائل الشرك، وما يُصلح المجتمعات وما يفسدها، والله المستعان.

❁ما الشاهد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾؟.

الشاهد هو قوله تعالى: (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) والقطمير هو غلاف النواة، أو الحبل الواصل من أعلى النواة إلى ظاهر الثمرة، فإن هذا لا يملكونه، فغيره مما هو أعلى منه من باب أولى وأولى، فحتى هذا الشيء الحقير لا يملكونه، فكيف يطلبون منهم أشياء لا يملكونها؟ قال

جل وعلا هنا (**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا**...)، و (**الَّذِينَ**)، اسم موصول يعم كل ما دعي من دون الله -كالملائكة أو الأنبياء والرسل، أو الصالحين من الأموات، أو الطالحين، أو الجن، أو الأصنام والأشجار والأحجار-؛ كل مَن دُعي وما دعي فإنه لا يملك ولو قطميرا، فالواجب أن يتوجه بالسؤال لمن يملك ذلك وهو الله عز وجل.

❁ ذَكَرَ الشيخ رحمه الله بعد ذلك جملة من الأحاديث، فعلى ماذا مدارها؟

هذه الأحاديث مدارها على بيان قول الله جل وعلا: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾.

ووجه الإستدلال من هذه الأحاديث وإيراد هذه الآية قبلها: أن هذا النفي توجه إلى رسول الله ﷺ وهو ﷺ سيد ولد آدم، واللام في قوله (**لَكَ**) لام الإستحقاق، أو لام المِلك؛ يعني: لا تستحق شيئا، أو لا تملك شيئا، يعني: لا تستحقه بذاتك، وإنما بما أمر الله جل وعلا، وبما أذن به.

فتعظيم النبي ﷺ ومحبته ﷺ هي فرع عن محبة الله، وعن تعظيم الله جل وعلا، ولو كان له ﷺ من الأمر شيء لنصر نفسه وأصحابه يوم أحد، ولكن في يوم أحد حصل ما حصل فأنزل الله جل وعلا قوله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ**﴾[آل عمران:١٢٨].

كذلك الحديث الآخر: لما لعن النبي ﷺ في قنوت الفجر فلانا وفلانا من الناس الذين آذوا المؤمنين، نزل قول الله جل وعلا: (**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**)؛ وهكذا الحديث الذي بعده.

كذلك قوله ﷺ (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا) ظاهرٌ فيه أن النبي ﷺ لا يستطيع أن يفعل شيئا بما ينفع به الأقربين، إلا ما جعل الله له من الرسالة وبلاغها، وأداء الأمانة، وأما أنه يغني عنهم من الله شيئا من العذاب، فالله جل وعلا لم يجعل لأحد من

خلقه من ملكوته شيء، وإنما هو سبحانه المتفرد بالملكوت والجبروت والمتفرد بالكمال والجمال والجلال.

وهذه الأحاديث: دالة على أن النبي ﷺ نُفي عنه أنه يملك شيئا من ملكوت الله، وإذا كان كذلك فإنه ﷺ قد بلَّغ ذلك وبيَّنه، ومَن هو دونه ﷺ من باب أولى، فالملائكة أولى أن يُنفى عنهم ذلك، والأنبياء أولى أن يُنفى عنهم ذلك، وكذلك الصالحون مِن أتباع الرسل، وأتباع محمد ﷺ كذلك أولى أن يُنفى عنهم ذلك.

فإذا كان كذلك: بطلت كل التوجُّهات إلى غير الله جل و علا، ووجب أن يُتوجه بأنواع العبادة، من الدعاء، والإستغاثة، والإستعاذة، والذبح، والنذر، وأنواع التوجّهات، إلى الحق جل وعلا وحده دون ما سواه.

باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبأ:٢٣].

ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟ وما معنى قوله تعالى: (فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ)؟.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: أن فيه برهانا على أن المستحق للعبادة هو الله جل جلاله، ذلك أنه هو المتصف بصفات الكمال والجلال، وهذا الباب فيه ذِكر لصفات الجلال لله جل وعلا، والله سبحانه كلّ من في السماوات ومن في الأرض خائف منه، وجِلٌ منه في الحقيقة، إذْ هو الجليل سبحانه، ولذلك كان الأعرف به في السماء الملائكة

فإنهم ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[النحل:٥٠]، وقال جل وعلا في وصفهم أيضا: ﴿وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء:٢٨]، فصفات الجلال والكمال لله جل وعلا، كلها دلائل على أنه هو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه .



وقوله: (فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ) يعني: أزيل الفزع عن قلوب الملائكة، فالملائكة مع أنهم مقربون، إلا أنهم شديدوا المعرفة بالله جل وعلا، شديدوا العلم به، عظيمٌ علمهم بالرب جل وعلا، ومما يعلمونه عن الله جل وعلا أنه هو الجبار، وأنه هو الجليل سبحانه، وأنه ذو الملكوت، فلهذا يشتد فزعهم منه سبحانه؛ لأنه لا غِنىٰ بهم عنه جل وعلا طرفة عين.

❁من تقسيمات الصفات أنها تنقسم إلى صفات جلال، وصفات جمال.؟

فالصفات التي تُحدث في القلب الخوف والهلع والرهبة من الرب جل وعلا، هذه تسمىٰ صفات الجلال، والذي يتصف بصفات الجلال علىٰ الحقيقة هو الله جل وعلا؛ لأنه هو الكامل في صفاته سبحانه، فإذا كان كذلك كان الكامل في صفاته هو المستحق للعبادة، وأمّا البشر المخلوقين فإنهم ناقصون في صفاتهم، يعلمون أن حياتهم ليست حياة كاملة، وإنما هي حياة إذا عرض لها أي عارض صار المخلوق ميّتًا، وإذا عرض له أي عارض صار مريضا، وإذا عرض له أي عارض صار ضعيفا، فهم ضعاف، فقراء، محتاجون، ليست لهم صفات الكمال، وهذا دليل نقصهم، ودليل عجزهم، ودليل أنهم مقهورون مربوبون، فيجب أن يتوجه العباد إلىٰ مَن له صفات الكمال، ونعوت الجلال والجمال، وهو الله جل وعلا وحده، سبحانه وتعالىٰ، فهذا هو المراد من هذا الباب.



باب الشفاعة

❁ما مناسبة إيراد باب الشفاعة بعد البابين قبله؟، وما معنى الشفاعة؟، وما حكم التوجه لغير الله بطلبها؟.

إيراد هذا الباب بعد البابين قبله مناسب جدا: ذلك أن الذين يسألون النبي ﷺ ويستغيثون به، ويطلبون منه، أو يسألون غيره من الأولياء أو الأنبياء، إذا أقمت عليهم الحجة بما ذُكر من توحيد الربوبية، قالوا: نحن نعتقد ذلك؛ ولكن هؤلاء مقربون عند الله، ولهم الجاه عند الرب جل وعلا، وإذا كانوا كذلك فهم يشفعون عنده، فمن توجه إليهم أرضوه بالشفاعة.

فكأن الشيخ رحمه الله: رأى حال المشركين وحال الخرافيين، واستحضر حججهم، **فقال**: لم يبق **إلا الشفاعة لهم إذا حاججتهم**: فهذا (باب الشفاعة).

والشفاعة في الأصل: مأخوذة من الشفع، والشفع هو الزوج؛ لأن الشافع طالب، فصار مع صاحب الطلب الأصلي شفعاً، فواحد يريد شيئا فأتى الثاني يشفع له فصار شفعا له، فسُميت شفاعة؛ لأنه بعد أن كان صاحب الطلب واحداً، صار شفعاً، فسميت شفاعة لذلك.

والشفاعة هي: الدعاء، وطلب الشفاعة هو طلب الدعاء.

فإذا قال قائل: أستشفع برسول الله ﷺ، كأنه قال: أطلب من الرسول ﷺ أن يدعو لي عند الله، فالشفاعة طلب، ولهذا مَن استشفع فقد طلب الشفاعة، فالشفاعة الدعاء.

فلهذا: صار كل دليل تقدم لنا، وكل دليل في الكتاب أو في السنة فيه إبطال أن يُدعى مع الله جل وعلا إلــها آخر يصلح أن يكون دليلا لإبطال الاستشفاع بالموتى، وبالذين غابوا عن دار التكليف، لأن حقيقة الشافع أنه طالب، فالشافع في ظن المستشفع يدعو، والمستشفع يدعو مَن



أراد منه الشفاعة؛ يعني إذا أتى آتٍ إلى قبر النبيﷺ، أو قبر ولي، أو نحو ذلك فقال: أستشفع بك، أو أسألك الشفاعة، يكون قد طلب منه، ودعاه أن يدعو له.

فلهذا: صار صرفها، والتوجه بها إلى غير الله جل وعلا شرك أكبر؛ لأنها في الحقيقة دعوة لغير الله، وسؤال مِن هذا الميِّت، وتوجه بالطلب والدعاء لغير الله جل وعلا.

أما إذا كان المتوجه إليه بالشفاعة حيٌّ: فإنه في دار التكليف، يُطلب منه أن يشفع عند الله، بمعنى أن يدعُوَ، وقد يجاب دُعاءه، وقد لا يجاب، أو كما يحصل أن يشفع بعض الناس لبعض بالشفاعة الحسنة، أو بالشفاعة السيئة.

وقد أذن الله في طلب الشفاعة منهم بأن يدعوا: لهذا كان الصحابة في عهد النبي ﷺ ربما أتى بعضهم إلى النبي ﷺ وطلب أن يشفع له، يعني: أن يدعو له.

ومسألة الشفاعة من المسائل التي تخفى على كثيرين: ولهذا وقع بعض أهل العلم في أغلاط من جهة طلب الشفاعة من النبي ﷺ، فأوردوا قصصا في كتبهم فيها استشفاع بالنبي ﷺ دون إنكار -كما فعل النووي، وكما فعل ابن قدامة في المغني، ونحو ذلك-، وهذا لا يعدّ خلافا في المسألة؛ لأن هذا الخلاف راجع إلى عدم فهم حقيقة هذا الأمر.

ومسألة الشفاعة مسألة فيها خفاء: ولهذا يقول أهل العلم من أئمة الدعوة رحمهم الله: (إقامة الحجة في مسائل التوحيد تختلف بحسب قوة الشبهة، فأقل الشبهات ورودا، وأيسر الحجج قدوما على المخالف فيما يتعلق بأصل دعوة غير الله معه، وبالاستغاثة بغير الله، وفي الذبح لغير الله، ونحو ذلك، ومن أكثرها اشتباها إلا على المحقق من أهل العلم مسألة الشفاعة).

ولهذا فإن الشيخ رحمه الله أتى بهذا الباب وقال: (باب الشفاعة)، وبيَّن لك بما ساق من الأدلة من الكتاب والسنة أن الشفاعة التي تنفع لا تصح إلا بشروط.

وكذلك هناك شفاعة منفية: فليست كل شفاعة تُقبل، وإنما هناك شفاعة تقبل، وهناك شفاعة تردُّ، تُقبل بشروط، وتُردُّ أيضا بأوصاف.

❁ ما أقسام الشفاعة في القرآن والسنة؟، وما توجيه قوله تعالى (لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ)؟.

الشفاعة في القرآن والسنة قسمان: شفاعة منفية، وشفاعة مثبتة

أما الشفاعة المنفية: فهي التي نفاها الله جل وعلا عن أهل الإشراك، كما ساق الشيخ رحمه الله أول الدليل فقال: (وقول الله عز وجل: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾[الأنعام: ٥١])، فهذه الشفاعة منفية، وهي منفية عن الجميع، عن الذين يخافون؛ من أهل التوحيد، وعن غيرهم.

ولكنها منفية عن أهل التوحيد إلا بشروط: وهي إذن الله للشافع أن يشفع، ورضاه جل وعلا عن الشافع، وعن المشفوع له.

فقوله تعالى: (لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ)، يعني: أنَّ الشفيع في الحقيقة هو الله جل جلاله دون ما سواه، ولهذا أعقبها بالآية الأُخرىٰ: ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤]، فالشفاعة جميعا ملك لله، وأهل الإيمان وغيرهم في الحقيقة ليس لهم من دون الله ولي ولا شفيع، ليس أحد يشفع لهم من دون الله جل وعلا؛ بل لابد أن تكون الشفاعة بالله؛ يعني بإذنه وبرضاه.

إذا تقرر ذلك: بأن نُفيت الشفاعة عن أحد سوىٰ الله جل وعلا وأن الذي يملك الشفاعة إنما هو الله جل وعلا وحده، بطل التعلُّق -تعلق قلوب أهل الشفاعة الذين يسألون الموتىٰ الشفاعة-بطل تعلقهم بمسألة الشفاعة؛ لأن الشفاعة ملك لله، وهذا المستشفع به لا يملكها.

❁هل تنفع الشفاعة مطلقا؟، أم لابدَّ لها من شروط وقيود؟.

لا تنفع الشفاعة مطلقاً: إذ لا بدَّ لها من شروط، ولهذا أورد الشيخ رحمه الله الآيتين بعدها.

قال جل وعلا: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾[البقرة:٢٥٥]، **وقال:** ﴿وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[النجم:٢٦].

فوجه الاستدلال من الآية الأولى: أن فيها قيد الإذن؛ فليس أحد يشفع إلا بشرط أن يأذن الله له، (مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ)، يعني لا أحد يشفع عند الله إلا بإذنه، لا الملائكة، ولا الأنبياء، ولا المقربون، وإنما الله جل وعلا هو الذي يملك الشفاعة وحده.

إذا كان كذلك: وأنه لا بد من إذنه جل وعلا، فمَن الذين يأذن الله جل وعلا لهم؟

الجواب: لا أحد يبتدئ بالشفاعة دون أن يؤذن له، فإذا كان كذلك: رجع الأمر إلى أنَّ الله هو الذي يوفق للشفاعة، وهو الذي يأذن بها، ولا أحد يبتدئ بالشفاعة.

كذلك الآية الأخرى: (إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللهُ لِمَنْ يَشَاءُ)، يعني: مِن الشافعين (وَيَرْضَى)، فيرضى قول الشافع، ويرضى أيضا عن المشفوع له.

❁ ما فائدة هذه الشروط ؟

وهذه الشروط لها فائدة: وهي فائدة هذا الباب، أنه لا أحد يتعلق بأنّ هذا الذي طُلبت منه الشفاعة له مقامٌ عند الله يملك به أن يشفع، كما يعتقد أهل الشرك في أنّ آلهتهم تشفع.

فاعتقاد المشركين: الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ، سواء أكانوا من الأُميين، أو من أهل الكتاب يعتقدون أن من توجهوا له بالشفاعة من الآلهة أنه يشفع جزما، إذا توجه إليه وتذلل له، وتقرب إليه بالعبادات، وطلبت منه الشفاعة عند الله فإنه يشفع جزما، وأن الله جل وعلا لا يرد شفاعته.



❁هل ثَمَّ أحد يملك الشفاعة؟

فهذه الآيات فيها إبطال لدعوى أولئك المشركين: في أنه ثَم أحد يملك الشفاعة بدون إذن الله وبدون رضاه عن المشفوع له.

وإذا ثبت أنه لا أحد يملكها: وأن مَن يشفع إنما يشفع بإكرام الله له، وبإذنه جل وعلا له، فكيف يتعلق المستشفع، طالب الشفاعة بهذا المخلوق؟ إنما الحق أن يتعلق بالذي يملك الشفاعة على الحقيقة، وهو الله عز وجل وحده.

❁ فشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة حاصلة، لكن نطلبها ممن؟

نطلبها من الله؛ فنقول: (اللهم شفع فينا نبيك)؛ لأنه هو الذي يفتح ويُلهِمُ النبيَّ ﷺ أن يشفع في فلان، وفي فلان؛ في مَن سألوا الله أن يشفع لهم النبي ﷺ.

لهذا أعقبها الشيخ رحمه الله بآية سبأ فقال: (وقوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾[سبإ:٢٢])

فهذه ثلاث حالات:

- الحالة الأولى: أن يدعوا الذين زعموهم من دون الله، وأن ينظروا هل يملكون مثقال ذرة في السماوات أو في الأرض، قال جل وعلا: (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ)، فإذن المِلك الاستقلالي لهم نُفِيَ، وهذه هي الحالة الأولى.
- والثانية: قال: (وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ) أيضاً نفى أن يكونوا شركاء لله في الملك، وفي تدبير السماوات والأرض، فنفى أولاً أن يملكوا استقلالا، ونفى ثانياً أن يملكوا شِركَاً.

◆ قال جل علا بعدها: (وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ) والظهير: هو المعاون والمؤازر والوزير، قال (مَا لَهُ) جل وعلا (مِنْهُمْ) يعني: من تلك الآلهة من وزير ولا معاون؛ لأنه يتبادر إلى ذهن بعض الناس أن ثمة مَن يُعين الله على أمره، مثل الملائكة، أو مثل الأنبياء، فإذا توجه إلى أولئك بالدعاء وبالطلب كان التوجه إلى مَن يُعين الله، فيكون إذا طلب من الله فإن الله لا يرده لأنه يعينه.

بنوا ذلك على تشبيه الخالق جل وعلا بما يحصل من المخلوقين: فإن المَلِكَ في هذه الدنيا أو الحاكم أو الأمير إذا كان له مَن يُعينه، ومَن يُظاهره، وشفع هذا الظهير لأحد؛ فإنه لا يَرُدُّ شفاعته لأنه يحتاجه؛ فلأجل هذه الحاجة لا يرد الأمير أو الملك شفاعة من له ظهير.

فيظن المشركون أن بعض تلك الآلهة معاونة الله جل وعلا: فنفى الله هذا الاعتقاد الجاهلي، ونفى أخيراً آخر اعتقاد وهو: أن تلك الآلهة تملك الشفاعة، فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[سبإ:٢٣]، فنفى آخر ما نفى الشفاعة، وأثبتها بشرطٍ، فقال: (وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ)، فالشفاعة تنفع بشرط: أن يأذن الله، فلا يبتدئ هذا الشافع ليشفع.

❁ **فإذا كان كذلك توجّه السؤال الآن: من يأذن الله لهم؟** الجواب فيما قاله شيخ الإسلام ابن تيميه فيما ساقه الشيخ رحمه الله بعد ذلك.

فالآيات التي سبقت: رتبها الإمام رحمه الله ترتيبا موضوعيا.

فالآيات الأُوَل: وجه الاستدلال منها أنّ الشفاعة مِلك لله -الآية الأولى والثانية- وأنه ليس لأحد شيء من الشفاعة؛ يعني ليس أحد يملك شيئا من الشفاعة، فإذا كان لا يملك إذن مَن يشفع، كيف يشفع؟ يشفع بأن يعطى الشفاعة، ويؤذن له بالشفاعة، ويكرم بالشفاعة، فنفى الشفاعة استقلالاً، وأثبت الشفاعة بشرطين: الإذن والرضى.

❁ مَن الذي يؤذَن له بالشفاعة؟ ومَن الذي يُرضى له أن يشفع؟ ومن الذي يرضى عنه أن يُشفّع فيه؟.

هذه ثلاثة أسئلة: جوابها في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، الذي أورده الشيخ رحمه الله.

فقول الشيخ رحمه الله: (فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن) يعني: منتفية بدون شروط؛ لأن المشركين يعتقدون أنها تحصل بدون إذن من الله ولا رضاه؛ لأن الشافع عندهم يملك الشفاعة، ولكن هي تحصل بالشرط كما أثبت ذلك الكتاب والسنة.

قال: (**يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يُقال له: ارفع رأسك، وقل يُسمع، وسل تُعط، واشفع تشفع، وقال له أبو هريرة: مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «مَن قال لا إله إلا الله خالصا مِن قلبه»**).

فالدليل الأول من السنة: في أنّ النبي ﷺ لا يشفع حتىٰ يؤذن له، (**يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تُعط، واشفع تشفع**)، فهذا الجوابُ علىٰ مَن الذي يؤذن له؟.

ومن الذين يرضى عنه في الشفاعة؟ جاء في الحديث الآخر، حيث قال أبو هريرة للنبي ﷺ (مَن أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: «**مَن قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**») فهذا الذي يرضى عنه فيشفع فيه، بعد إذن الله جل وعلا، وأصحاب الإخلاص هم أهل التوحيد.

فإذا كان كذلك: يكون الذي توجه إلىٰ الموتىٰ؛ من الرسل أو إلىٰ الأنبياء، أو إلىٰ الصالحين، أو الطالحين، يطلب منهم الشفاعة، فإنه مشرك؛ لأنه توجه بالدعاء لغير الله، وأولئك لا يملكون



الشفاعة، وإنما يشفعون بعد الإذن والرضى، والرضى يكون عن أهل التوحيد، وأهل التوحيد هم الذين لا يسألون الشفاعة أحداً مِن الموتى.

وكل من سأل ميْتا الشفاعة فقد حرم نفسه الشفاعة: لأنه أشرك بالله جل وعلا، والشفاعة المثبتة إنما هي لأهل الإخلاص، ليس لأهل الشرك فيها نصيب.

(أسئلة الدرس)

❀ ما الفرق بين التوسل والشفاعة؟

التوسل هو إتخاذ الوسيلة: والوسيلة هي الحاجة نفسُها، أو مَن يوصل إلى الحاجة، وقد يكون ذلك التوسل باستشفاع؛ يعني بطلب الشفاعة؛ فيصل إلى حاجته -بحسب ظنه- بالاستشفاع، وقد يصل إلى حاجته -بحسب ظنه- بغير الاستشفاع، فيسأل الله بالذات، يسأل الله بالجاه، يسأل الله بحُرمة فلان، يقول: (أسألك اللهم بنبيك محمد)، بعد وفاته عليه الصلاة والسلام، أو يقول: (أسألك اللهم بأبي بكر أو بعمر، أو بالإمام أحمد، أو بابن تيمية) إلى آخره، بالولي الفلاني، بأهل بدر، بأهل بيعة الرضوان، يسأله بهم، فهذا هو الذي يسمونه توسلا، وهذا التوسل معناه: أنه جعل أولئك وسيلة.

أما الاستشفاع فهو أن يسألهم الشفاعة: بأن يطلب منهم أن يشفعوا له.

وتحصَّل من ذلك: أن التوسل يختلف عن الاستشفاع؛ فإن المستشفِع طالب للشفاعة، والشفاعة إذا طلبها من العبد فيكون قد سأل غير الله، وأما المتوسل بحسب العُرف -عُرف الاستعمال- يسأل الله، لكن يجعل ذلك بوسيلة أحد من خلقه.

فالاستشفاع سؤال لغير الله: وأما الوسيلة فهي سؤال الله بفلان، بحرمته، أو بجاهه.

والتوسل بالذوات وبالجاه وبالحرمة لا يجوز: لأنه اعتداء في الدعاء؛ ولأنه بدعة محدثة، وهو وسيلة إلى الإشراك.

وأما الاستشفاع بالمخلوق الذي لا يملك الدعاء: وهو الميت، أو الغائب، أو نحو ذلك، فهذا طلب ودعاء لغير الله، وهو شرك أكبر.

❁ بعض العلماء أجاز التوسل ودليلهم حديث الأعمى، فكيف نرد عليهم؟

حديث الأعمى رواه الترمذي وغيره: وهو حديث حسن، وهناك رواية أخرى طويلة في معجم الطبراني الصغير لهذا الحديث، وفيها زيادة: (**أن أحد الصحابة، وهو عثمان بن حنيف ﷺ أرشد إلى استعمال ذلك الدعاء بعد وفاته ﷺ**).

فالرواية الأولى: وهي أن الأعمى توسل بالنبي ﷺ في حياته، هذا صحيح، وجارٍ على الأصول، حيث أنه توسل بالنبي ﷺ في حياته توسلاً بدعائه ﷺ، وهو ﷺ يملك ذلك ويستطيعه، ويقدر عليه.

أما التوسل بذاته ﷺ بعد وفاته: فإنه لا يجوز؛ لأنه مِن باب طلب الشيء ممن لا يملكه.

والرواية التي في معجم الطبراني الصغير: (ضعيفة) وفيها مجاهيل، ولذلك ليست بحجة في استعمال الصحابة ذلك بعد وفاته ﷺ.

والذي يدل على أن ذلك خاص بالأعمى: أنه رأى النور و أبصر بعد دعاء النبي ﷺ له، وتوجه ذلك الأعمى إلى الله جل وعلا أن يجيب فيه دعاء نبيه ﷺ.

والصحابة الآخرون الذين كانوا مكفوفين: لم يدعوا بهذا الدعاء، فكان في المدينة أناس عدة كُفَّتْ أبصارهم، منهم ابن أم مكتوم، وجماعة، فما دعوا بهذا الدعاء، وإنما كان ذلك خاصة بذلك الأعمى.



فالعلماء لهم بذلك توجيهان:

التوجيه الأول: أن ذلك الدعاء كان خاصاً بذلك الأعمى، بدليل عدم استعمال بقية الصحابة ذلك الدعاء، وعدم إرشاد النبي ﷺ لهم أن يُزال ما بهم من عمى البصر بذلك الدعاء.

والتوجيه الثاني: أن ذلك خاص بحياته ﷺ، ولا يكون بعد وفاته.

وهذا التوجيه الأول، وكذلك الثاني صحيحان، والصحابة جميعاً فهموا ذلك.

ولهذا: ثبت في البخاري وغيره: أنّ عمر ﷺ لما أجدبوا قال وهو يخطب الاستسقاء: (اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا بنبيك، وإنّا نتوسل إليك اليوم بعم نبيك، يا عباس قم فادع الله لنا).

قال العلماء: انتقل عمر من الفاضل، وهو النبي ﷺ، إلى المفضول، وهو العباس عم النبي ﷺ لعلة شرعية، وهي: أن الدعاء من الحي ممكن، وأما من غير الحي فإنه غير ممكن.

وإلا يكون عمر ﷺ انتقل من الفاضل إلى المفضول بغير علة شرعية، وهذا ممتنع فقها للصحابة رضوان الله عليهم.

❁ هل يملك الشفاعة أحد، وما الدليل ؟

الشفاعة إنما هي لله تبارك وتعالى وقد نُفي أن يملكها أحد إلا الله جل وعلا

لقوله تعالى ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤]، لام هذه لام المِلك يعني الذي يملك الشفاعة هو الله جل وعلا، فقال ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[الأنعام: ٥١] .

❁ لمن تكون الشفاعة وماهي شروطها ؟

إن الشفاعة منفية عن المشركين و إنما هي لأهل الإخلاص بشرطين الإذن والرضى.



❁ ما حقيقة الشفاعة؟ أي ما حقيقة حصولها وكيف تحصل؟ وما الدليل ؟

الجواب في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله (**حقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضّل على أهل الإخلاص**) يعني الذين شُفع لهم إنما ذلك بتفضّل الله جل وعلا عليهم وهم أهل الإخلاص، حيث جاء في حديث أبو هريرة: قال عليه الصلاة والسلام «**أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه**» أو قال «**خالصا من قلبه ونفسه**»، فأهل الإخلاص هم الذين يُكرمهم الله بالشفاعة، فالمتفضل بالشفاعة هو الله جل وعلا.

❁ ما الأثر المترتب على إبطال أن تكون الشفاعة لغير الله ؟

إن الإيمان بأن المتفضل بالشفاعة هو الله جل وعلا ينقطع القلب من التعلق بغير الله سبحانه و لن يتوجه بعض الناس إلى المعبودات المختلفة من الأولياء إلى الصالحين إلى الملائكة إلى غير ذلك رجاء الشفاعة منهم كما قال جل وعلا عنهم ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[يونس:١٨]

فإذا كانت كذلك وجب أن تتعلق القلوب به سبحانه وتعالى في رجاء الشفاعة؛ إذ هو المتفضل بها على الحقيقة، والعباد مكرمون بها لا يبتدئون بالقول ولا يسبقون بالقول، وإنما يجلون ويخافون ويثنون على الله ويحمدون حتى يؤذن لهم بالشفاعة.

❁ لِمَ لَمْ يتفضل الله عليهم أن غفر لهم بدون واسطة الشفاعة؟

والجواب عند ذلك ما ذكره شيخ الإسلام هنا بقوله (**ليكرمه**) فهو إظهار فضل الشافع و إظهار إكرام الله جل وعلا للشافع في ذلك المقام، إذْ -كما هو معلوم- أن الشافع الذي قُبلت شفاعته ليس في المقام مثل المشفوع له فالله جل وعلا يُظهر إكرامه لمن أذن له أن يشفع، ويُظهر رحمته بالشافع .



❁ اذكر أمثلة على شفاعات مختلفة في أهل الكبائر يظهر فيها إكرام الله جل وعلا للشافع ورحمة بالشافع وبالمشفوع .

إن الشافع له قرابة يريد أن يشفع لهم، له أحباب يريد أن يشفع لهم، لذلك الشفاعة يوم القيامة لأهل الكبائر ليست خاصة بالنبي ﷺ؛ بل يشفع للأنبياء وتشفع الملائكة ويشفع أيضا الصالحون، فهذه شفاعات مختلفة في أهل الكبائر بإكرام الله جل وعلا للشافع ورحمة بالشافع، وأيضا رحمة بالمشفوع له وإظهار فضل الله جل وعلا على الشافع والمشفوع له.

هذه هي حقيقة الشفاعة أنّ الله جل وعلا يتفضل فيقبل الشفاعة بإذنه، يتفضل على الشافع ويكرمه بأن يشفع، يتفضل ويرحم المشفوع له فيقبل فيه الشفاعة.

❁ على ماذا تدل الشفاعة ؟ تدل على عظم الله جل وعلا وتفرده بالملك وتفرده بتدبير الأمر وأنه الذي يجير ولا يجار عليه سبحانه وتعالى، هو الذي له الشفاعة كلها، هو الذي له ملك الأمر كله، ليس لأحد منه شيء، وإنما يُظهر فضله ويُظهر إحسانه ويُظهر رحمته ويظهر كرمه لتتعلق القلوب به.

❁ ماهي الشفاعة المنفية ؟ وما الدليل ؟

هي الشفاعة التي فيها شرك، كذلك الشفاعة للمشركين منفية لأنهم لم يُرض عنهم ، قال شيخ الإسلام (**فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك**) التي نفاها القرآن في مثل قوله جل وعلا ﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾[الأنعام: ٥١]، فالشفاعة التي فيها شرك من جهة الطلب أو من جهة من سئل له بأن ذلك مشركا فإنها منفية عن أهلها لا تنفعهم.

فإذن كل مشرك الشفاعة عنه منفية؛ كل مشرك الشرك الأكبر فالشفاعة عنه منفية؛ لأن الشفاعة فضل من الله لأهل الإخلاص.

❀ ماهي الشفاعة المثبتة ؟

الشفاعة المثبتة فهي التي أثبتت و جاء إثباتها بشرط الإذن والرضى فالذي هو حقيق بالشفاعة هو الذي أنعم عليه بالإخلاص ووفقه لتعظيمه وتعليق القلب به وحده دون ما سواه.

قال شيخ الإسلام بعد ذلك (**ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع**) وهذه هي الشفاعة المثبتة، أثبتها بإذنه في مواضع يعني بشرط الإذن. قال المصنف رحمه الله في آخر كلامه (**وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص وهذه هي الشفاعة المثبتة**).

❀ ما هو الإذن المشروط في تحقيق الشفاعة ؟

الإذن: إذن كوني وإذن شرعي.

فالمأذون له لا يمكن أن تحصل له الشفاعة إلاّ أن يؤذن الله له كونا بأن يشفع، فإذا منعه الله كونا أن يشفع ما حصلت منه الشفاعة ولا تحرك بها لسانه.

كذلك الإذن الشرعي في الشفاعة بأن تكون الشفاعة ليس فيها شرك وأن يكون المشفوع له ليس من أهل الشرك، ويخص من ذلك أبو طالب حيث يشفع له النبي عليه الصلاة والسلام في تخفيف العذاب عنه، فهي شفاعة في الانتفاع بالإخراج من النار إنما هي في تخفيف العذاب، وهي خاصة هذه بالنبي عليه الصلاة والسلام بما أوحي الله جل وعلا إليه وأذن له بذلك.

❀ هل تعلق الناس بالشفاعة الباطلة ينفعهم ؟

أن تعلق أولئك بالشفاعة إنما هو عليهم ليس لهم؛ لأنهم لما تعلقوا بالشفاعة حرموها لأنهم تعلقوا بشيء لم يأذن الله جل وعلا به شرعا بأن استخدموا الشفاعات الشركية وتوجهوا إلى غير الله وتعلقت قلوبهم بغير الله.

باب قول الله تعالى:
﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

❁ ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ؟

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد أنّ الهداية من أعز المطالب وأعظم ما تعلق به الذين تعلقوا بغير الله أن يكون لهم النفع في الإستشفاع وفي التوجه في الدنيا والأخرىٰ، والنبي عليه الصلاة والسلام -وهو سيد ولد آدم وهو أفضل الخلق عند ربه جل وعلا- نفي عنه أن يملك الهداية وهي نوع من أنواع المنافع، فدلّ علىٰ أنه عليه الصلاة والسلام ليس له من الأمر شيء كما جاء في ما سبق في باب قول الله تعالىٰ ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾[الأعراف:١٩١] في سبب نزول قول الله تعالىٰ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾[آل عمران: ١٢٨].

فإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام ليس له من الأمر شيء ولا يستطيع أن ينفع قرابته، «**يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئا**» إذا كان هذا في المصطفىٰ ﷺ وأنه لا يغني من الله جل وعلا من أحبابه شيئا وعن أقاربه شيئا، وأنه لا يملك شيئا من الأمر وأنه ليس بيده هداية التوفيق، فإنه أن ينتفي ذلك وما دونه عن غير النبي ﷺ من باب أَوْلَىٰ، فبطل إذن كل تعلق للمشركين من هذه الأمة بغير الله جل وعلا؛ لأن كل من تعلقوا به هو دون النبي عليه الصلاة والسلام بالإجماع.

فإذا كانت هذه حال النبي عليه الصلاة والسلام وما نُفي عنه فإن نفي ذلك عن غيره ﷺ من باب أولىٰ.

باب قول الله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

❁ ما نوع لا في الآية السابقة ؟ (لَا) هنا نافية

❁ ما الهداية المنفية في الآية؟ أنه لا يستطيع عليه الصلاة والسلام أن يجعل حتى من يحب مسلما مهتديا، فمِن أنفع قرابته له أبو طالب ومع ذلك لم يستطع أن يهديه هداية توفيق، فالمنفي هنا هو هداية التوفيق. وهذا يعني أن النفع وطلب النفع في هذه المطالب المهمة يجب أن يكون من الله جل وعلا، وأن محمدا عليه الصلاة والسلام مع عِظم شأنه عند ربه وعِظم مقامه عند ربه وأنه سيد ولد آدم وأنه أفضل الخلق عليه الصلاة والسلام وأشرف الأنبياء والمرسلين إلا أنه لا يملك من الأمر شيئا عليه الصلاة والسلام.

فبَطَل -إذن- تعلق القلوب في المطالب المهمة في الهداية وفي المغفرة وفي الرضوان وفي البعد -بعد الشرور- وفي جلب الخيرات إلا بالله جل وعلا فإنه هو الذي تتعلق القلوب به جل وعلا خضوعا وإنابة ورغبا ورهبا وإقبالا عليه وإعراضا عما سواه سبحانه وتعالى.

❁ ما أنواع الهداية ؟

النوع الأول هداية التوفيق والنوع الثاني من الهداية المتعلقة بالمكلف هداية الدلالة والإرشاد.

❁ ماهي هداية التوفيق ؟

هداية التوفيق والإلهام الخاص والإعانة الخاصة كلها واحدة ومعناها أنّ الله جل وعلا يجعل هداية التوفيق ويجعل في قلب العبد من الإعانة الخاصة علىٰ قَبول الهدىٰ ما لا يجعله لغيره، فالتوفيق إعانة خاصة لمن أراد الله توفيقه، بحيث يقبل الهدىٰ ويسعىٰ فيه.

❁ من يملك هداية التوفيق ؟

هو الله سبحانه وتعالىٰ إذ القلوب بيده يقلبها كيف يشاء .

❁ ماهي الهداية المثبتة للداعية إلى الله ولكل نبي ورسول ؟

هداية الدلالة والإرشاد هذه ثابتة للنبي ﷺ بخصوصه، ولكل داع إلىٰ الله ولكل نبي ورسول، قال جل وعلا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد:٧]، وقال جل وعلا في نبيه عليه الصلاة والسلام ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(٥٢)صِرَاطِ اللَّهِ﴾[الشورىٰ:٥٢-٥٣] (لَتَهْدِي) يعني تدل وترشد إلىٰ صراط مستقيم بأبلغ أنواع الدلالة وأبلغ أنواع الإرشاد، الدلالة والإرشاد المؤيَّدان بالمعجزات والبراهين والآيات الدالة علىٰ صدق ذلك الهادي وصدق ذلك المرشد.

(وفي الصحيح عن ابن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ إلى أن قال(فقال له «يا عم! قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله» فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا، فكان آخر ما قال : هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله.)

❁ ما المقصود الأمر بقوله : (قل لا إله إلا الله) ؟

هذه الكلمة ليست مجردة عن المعنىٰ، تنفع من قالها ولو لم يُقِرَّ بمعناها بل لابد أن يجمع بين القول والإقرار بها ، والعرب كانوا لصلابتهم وعزتهم ورجولتهم ومعرفتهم بما يقولون كانوا



إذا تكلموا بكلام يعون ما يتكلمون به، يعون كل حرف وكل كلمة خوطبوا به أو نطقوا به هم، فلما قيل لهم قولوا لا إله إلا الله مع أنها كلمة يسيرة لكن أبوا؛ لأنهم يعلمون أن هذه الكلمة معناها إبطال إلـهة من سوىٰ الله جل وعلا، ولهذا قال جل وعلا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ يَسْتَكْبِرُونَ(٣٥) وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ(٣٦) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾[الصافات:٣٥-٣٧]الآيات، وكذلك قوله في أول سورة ص فجاء قول الله جل وعلا مخبرا عن قولهم ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾[ص:٥] استنكروا لا إله إلا الله، وهذا هو الذي حصل مع أبي طالب حيث قال له النبي ﷺ **(قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاجّ لك بها عند الله)** فلو كانت مجردة من المعنىٰ عندهم أو يمكن أن يقولها دون اعتقاد وما فيها ورضى بما فيها ويقين وانتفاء الريب لقالها؛ ولكن ليس هذا هو المقصود من قول الله بل المقصود وهو قولها مع تمام اليقين بها وانتفاء الريب والعلم والمحبة إلىٰ آخر الشروط (فقالا له : أترغب عن ملة عبد المطلب) وهذا فيه والعياذ بالله ضرر جليس السوء علىٰ المجالس له، (فكان آخر ما قال هو علىٰ ملة عبد المطلب وأبىٰ أن يقول لا إله إلا الله.

❁ما موطن الشاهد من هذا الحديث ؟

هو قول النبي ﷺ: «**لأستغفرن لك ما لم أنه عنك**»

❁ ما مناسبة هذا الحديث لهذا الباب ؟

نُهي النبي صلىٰ الله عليه وسلم في الحياة الدنيا أن يستغفر لمشرك لأن طلب الشفاعة والإستشفاع هو من جنس طلب المغفرة، فالإستغفار طلب المغفرة، والشفاعة قد يكون منها طلب المغفرة فرُدت، رُدّ ذلك لأن المطلوب له المستشفع له هو مشرك؛ والإستغفار والشفاعة لا تنفع أهل الشرك، والنبي ﷺ لا يملك أن ينفع مشركا بمغفرة ذنوبه أو أن ينفع أحدا ممن توجه إليه بشرك

في إزالة ما به من كربات أو جلب الخيرات له فهو أيضا لو فرض أنه يقدر على الاستغفار في حال البرزخ فإنه لن يستغفر لمشرك توجه إليه بالاستشفاع أو توجه إليه بالاستغاثة أو بالذبح أو بالنذر أو تأله أو توكل عليه أو أنزل به حاجاته من دون الله جل وعلا.

❁ ما نوع اللام في قوله ﷺ (لأستغفرن لك) ؟

واللام هنا في جواب القسم، فثَم قسم مقدر تقديره: والله لأستغفرن لك. وحصل من النبي ﷺأن استغفر لعمه؛ ولكن هل نفع عمَّه استغفار النبي صَلَّى الله عليه وسلم له؟ لم ينفعه ذلك، ، لهذا قال (**لأستغفرن لك ما لم أُنهَ عنك**) .

❁ماالدليل على أن الله جل وعلا نهى النبي ﷺ أن يستغفر للمشركين؟

قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[التوبة:١١٣].

❁ ما معنى كلمة ماكان في الآية ؟

وكلمة (**مَا كَانَ**) في الكتاب والسنة تأتي على استعمالين:

الاستعمال الأول: النهي. والاستعمال الثاني: النفي.

النهي: مثل هذه الآية وهي قوله (**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**) هذا نهي عن الاستغفار لهم، وكذلك قوله ﴿و مَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّة﴾[التوبة:١٢٢].

والنفي: كقوله﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾[القصص:٥٩] ونحو ذلك من الآيات.

فإذن (**مَا كَانَ**) من القرآن تأتي على هذين المعنيين، وهنا المراد بها النهي؛ نهي أن يستغفر أحد لمشرك.



باب ما جاء أن سبب كُفْرِ بني آدم و تركِهم دينهم هو الغلو في الصالحين

❁ ما مناسبة باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين لما قبله ؟

لقد هذا الباب جاء بعد الأبواب التي قبله وقد فيها بيّن أصولا و شيئا من البراهين على التوحيد، وبين ما يتعلق به المشركون وأبطل أصول اعتقاداتهم بالشريك أو الظهير أو الشفيع ونحو ذلك، فإذا كان هذا الاعتقاد مع ما أُورد من النصوص بهذه المثابة من الوضوح والبيان فكيف -إذن- دخل الشرك !!

وكيف صار الناس إلى الشرك بالله جل وعلا!! مع أن الأدلة على انتفائه وعلى عدم جوازه وعلى بطلانه واضحة ظاهرة، وأن الرسل جميعا بعثت ليعبدوا الله وحده دون ما سواه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَّ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللهُ ومَنِهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلاَلَةُ﴾[النحل:٣٦]؟

ما سبب وقوع الشرك؟ وكيف وقع الشرك في الأمم؟

جاء الشيخ رحمه الله بهذا الباب وما بعده ليبين أن سبب الشرك وسبب الكفر هو الغلو الذي نهى الله جل وعلا عنه ونهى عنه رسوله ﷺ سواءٌ في هذه الأمة أم في أمم من قبل، فسبب وقوع الشرك هو الغلو في الصالحين، وهذا أحد أسباب وقوع الكفر والشرك؛ بل هو سببها الأعظم.



❁ ما مكانة هذا الباب مع الأبواب التي سبقته ؟

(**باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين**) هذا ذكر للأسباب بعد ذكر الأصول والعقائد.

❁ ما معنى الغلو في الصالحين؟ وماهو الغلو ؟ ومامعنى الصالحين ؟ وماهو الصلاح في الكتاب والسنة ؟

الغلو : مأخوذ من غلا في الشيء، يغلو غُلُوًّا إذا جاوز به حدّه، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ لما رمى الجمرات بحصيات قال «**بمثل هذه فارموا وإياكم والغلو**» يعني مجاوزة الحد حتى في حجم تلك الحصاة وفي مقدار الحصى، قال (**بمثل هذه فارموا**) فإذا جاوز في المثلية بأن رمى بكبيرة فإنه قد غلا؛ يعني جاوز الحدَّ الذي حُدّ له في ذلك.

(**الغلو في الصالحين**) معناه أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم الذي أمرهم الله به هو مجاوزة الحد الذي أُذن به في الصالحين.

و**الصالحون** يشمل الأنبياء والرسل ويشمل أيضا الأولياء ويشمل كل من اتصف بالصلاح في الأمم، وأصل كلمة (الصالحون) أصلها جمع الصالح، والصالح هو اسم من قام به الصلاح يعني أهل الطاعة والإخلاص لله جل وعلا الذين اجتنبوا الفساد واجتنبوا السيئات، وهم الذين اشتركوا في فعل الطاعات وتر ك المحرمات أو كانوا من السابقين بالخيرات، فاسم

الصالح يقع شرعا على المقتصد وعلى السابق بالخيرات؛ فالمقتصد صالح والسابق بالخيرات صالح وكلٌّ درجات عند الله جل وعلا.

والصلاح في الكتاب والسنة:

- تارة يكون بمعنى نفي الفساد؛ ما يقابل الفساد.
- وتارة بمعنى ما يقابل السيئات.

❁ ما هو الحد الذي أَذِن به الشرع في الصالحين حتى نعلم ما الذي يكون مجاوزة له؟

الصالحون أُذِن في حقهم بأن يحبّوا في الله وأن يوقروا في الله وأنْ يُقتدى بهم في صلاحهم وفي علمهم، وإذا كانوا من الرسل والأنبياء فإنه يؤخذ بشرائعهم وبما أمروا به ويتبع ذلك ويقتدى بآثارهم هذا هو الحد الذي أُذن به؛ احترام ومحبة وموالاة لهم ودفع عنهم ونصرة لهم ونحو ذلك من المعاني.

أما الغلو فيهم بأن يجاوز ذلك الحد فهو بحر لا ساحل له، فمما حصل من الغلو فيه أنهم جُعلت فيهم خصائص الإلهية، جُعل بعض البشر أنه يعلم سر اللوح والقلم، وأنه من جوده الدنيا وضرتها كما قال البوصيري في قصيدته المشهورة:

وهذا ليس إلاّ لله جل وعلا، وهذا من الغلو المنهي عنه.

كذلك قوله في النبي عليه الصلاة والسلام غاليا فيه أعظم الغلو

يقول إن النبي عليه الصلاة والسلام لم يعط آية تناسب قدره، قال الشرّاح حتى القرآن لا يناسب قدر النبي ﷺ، والعياذ بالله، يقولون القرآن المتلو بخلاف غير المتلو عند الأشاعرة؛ لأنهم يفرقون بين هذا وهذا.

وهذا من أنواع الغلو الذي يحصل من الذين يعبدون غير الله جل وعلا ويتوجهون إلى الأنبياء والرسل فيجعلون في حقهم من خصائص الألوهية ما لا إذن لهم به؛ بل هو من الشرك الأكبر بالله جل وعلا ومن سوء الظن بالله ومن تشبيه المخلوق بالخالق، وهذا كفر والعياذ بالله.

❁ هناك حد مأذون به شرعا و هناك غلو فماذا يقابل هذه الحالتين ؟

الجفاء في حق الصالحين هذه الحالة الثالثة الجفاء، وهذا بعدم موالاتهم وعدم احترامهم وعدم إعطائهم حقَّهم وترك محبة الصالحين، فكل تقصير في الأمر يعدّ جفاء وكل زيادة فيه يعد غلوا.

❁ مامناسبته وقول الله عز وجل: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾للباب ؟ وماوجه الاستدلال فيها ؟

أي أنه نهى أهل الكتاب عن الغلو فقال (**يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ**) ووجه الاستدلال أنه قال (**لاَ تَغْلُواْ**)، و(**تَغْلُواْ**) هنا فعل جاء في سياق النهي وهذا يعم جميع أنواع الغلو في الدين ، هذا موطن الشاهد ووجه الاستدلال من الآية على الحديث.



❁لحال أهل الكتاب وما قصّ الله جل وعلا من أخبارهم في القرآن الكريم بيان نجد أنهم قد غلوا في صالحيهم ..فما هو أو ما توضيح ذلك ؟

المتأمل يجد قد غلا النصارىٰ في عيسىٰ وفي أمه وفي حوارييه، وقد غلى اليهود أيضا في عزير وفي أصحاب موسىٰ وفي أحبارهم وفي رهبانهم وهكذا.

فحصل الغلو من أهل الكتاب، تارة بأن جعلوا الرسل والأنبياء لهم خصائص الألوهية من جهة التوجه لهم، وقد قال الله جل وعلا ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ(٧٢)لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ﴾[المائدة:٧٢-٧٣]، وفي آخر سورة المائدة أيضا قال الله جل وعلا ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾[المائدة:١١٦]؛ يعني تنزيها وتعظيما لك أن أقول لهم ذلك وذلك من الشرك فكيف أقول لهم ذلك قال ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ(١١٦)مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[المائدة:١١٦-١١٧]، وهذا كله في التوحيد، فحصل أن غلا أتباع الرسل وأتباع الأنبياء في الأنبياء والرسل وغلوا أيضا في الصالحين من أتباعهم وجعلوا لهم بعض خصائص الإلهية؛ جعلوا لهم الشفاعة جعلوا لهم نصيبا من الملك أو أنهم يدبرون الأمر أو أنهم يصرفون شيئا من الملكوت، فيعتقد الآن بعض

الصوفية أن للكون أقطابا أربعة وأن ربما في ربع العالم المسئول عن فلان وفي الربع الثاني المسؤول عن فلان وإلى آخره، فجعلوا لهم نصيبا من الملك، جعلوا لهم نصيبا من الربوبية، وجعلوا لهم أيضا نصيبا من الإلهية فتقربوا إليهم بأنواع القربات من الذبح والاستغاثة والتذلل والخضوع والمحبة والتوكل والرغب والرهب وخوف السر، إلى آخر أنواع العبادات القلبية والعملية.

❁ما حكم حديث الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا(٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[نوح:٢٣-٢٤]، قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم) إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى؟

هذه القصة أو هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما محمول على الرّفع؛ لأن هذا خبر غيبي وهذا الخبر الغيبي فيه أنه لا يستقى إلا من مشكاة النبوة.

❁من هم هؤلاء الوارد ذكرهم في الآية (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر)؟ وكيف دخل الشرك في قوم نوح؟ وقوم إبراهيم ؟

هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، نوح عليه السلام أتى بالرسالة بأن يعبد الله وحده دون ما سواه بالتوحيد، في القرآن ذكرٌ لأصلين من أصول الشرك -وثَم غيرهما أيضا-:

الأصل الأول: شرك قوم نوح. **والأصل الثاني**: شرك قوم إبراهيم.



وشرك قوم نوح كان بالصالحين؛ بالغلو في الصالحين وأرواح الصالحين، فجاءهم الشيطان من جهة روح ذلك العبد الصالح وأثر تلك الروح وأن من تعلق به فإنه يشفع له، ثم ساقهم من ذلك التعظيم إلى الصور والأنصاب والأوثان والأصنام. كما قال ابن عباس هنا في بيان أصل وقوع هذا الشرك (**فلما هلكوا، أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، ونسي العلم، عبدت**. قال ابن القيم قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم).

والنوع الثاني شرك قوم إبراهيم، وذلك شرك في تأثير من جهة النظر في الكواكب ومن يؤثر ويحرك، فهذا شرك في الربوبية وما تبعهم من الشرك في الإلهية؛ لأنهم جعلوا لتلك الكواكب أصناما وجعلوا لها صورا، جعلوها أوثانا فعبدوها من دون الله جل وعلا وتوجهوا إليها.

❁ أين الشاهد مما تقدم ؟

الشاهد من هذا أن أولئك توجهوا إلى الصور –صور الصالحين- فكانوا أهل علم يعلمون أنهم إذا اتخذوا الصور فإنهم لن يعبدوها؛ فأول الأمر ما عُبدت، عندهم من العلم ما يحجزهم أن يعبدوا أولئك الصالحين؛ لكن لما نسي العلم عُبدت ، كانت تلك الصور وسيلة وطريق وسبب لأنّ عُبدت في المستقبل والشيطان ربما أتى إلى الصورة فجعل في عيني الناظر إليها



والمخاطب لها أنها تتحدث وأن فم المصوَّر يتكلم وأنه يُسمع ُمنه وأنه يُسمع منه كلاما ونحو ذلك من الأشياء وأصناف التصرفات التي تجعل القلوب تتعلق بتلك الرّوحانيات -كما يقول- وتلك الأرواح، فيُغرىٰ أولئك بهم. وهذا وجه الشاهد من أنهم لّما ماتوا عكفوا علىٰ قبورهم أو صوروا تلك الصور أو نصبوا الأنصاب في أماكنهم ويكون أنشط لهم في العبادة أو العلم؛ ولكنهم لما فعلوا ذلك كان ذلك سببا من أسباب العبادة؛ لأنهم غلوا في الصالحين. وهذا مراد الشيخ رحمه الله من إيراد هذا الأثر.

❁ لم قال ابن عباس رضي الله عنه (أوحى الشيطان إلى قومهم)؟ وما المقصود بوحي الشيطان ؟

قال ابن عباس هنا كلمة بين السبب في ذلك فقال (**أوحى الشيطان إلى قومهم**) والوحي إلقاء في الخفاء، الشيطان ما يتحدث علنا، (**أوحى**) يعني ألقىٰ في خفاء، الوحي هو إلقاء الخبر في خفاء، فألقىٰ في روعهم، ألقىٰ في أنفسهم ذلك الأمر فكان سببا للشرك بالله جل وعلا.

❁ ما معنى قول عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»)، وماذا يفيد ؟

قوله (**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم**) فيه نهي عن إطرائه عليه الصلاة والسلام.

والإطراء: هو مجاوزة الحد -أيضا- في المدح. الغلو عام في أشياء كثيرة قد يكون في المدح، قد يكون في الذم، قد يكون في الفهم، قد يكون في العلم، قد يكون في العمل.

لكن الإطراء الغلو في المدح، الغلو في الثناء، الغلو في الوصف، والنبي عليه الصلاة والسلام نهىٰ عن إطرائه كإطراء النصارىٰ ابن مريم، وقال (**إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**).

❁ ما نوع الكاف في قوله : (كما أطرت النصارى ابن مريم) ؟

الوجه الأول : الكاف هنا بعض الناس يظن أنها كاف المثلية؛ يعني لا تطروني بمثل ما أطرت النصارىٰ ابن مريم ويقول: إن النصارىٰ أطرت ابن مريم في شيء واحد وهو أنَّ قالوا إنه ولد لله جل وعلا. والنبي عليه الصلاة ثابتة له رتبة البنوة، فإذا كان كذلك ما عداه فجائز وهذا هو قول الخرافيين، يعني لا تقل إنه ولد لله أو أنه ابن الله، وبعد ذلك قل ما شئت غير ملوم وغير مثرّب عليك.

الوجه الثاني: وهو الفهم الصحيح وهو الذي يدل عليه السياق- أن الكاف هنا هي كاف القياس، لا تطروني إطراءً كما أطرت النصارىٰ ابن مريم، وكاف القياس هي كاف التمثيل الناقص بأن يكون هناك شَبَهٌ بين ما بعدها وما قبلها في أصل الفعل .

(**لا تطروني كما أطرت**) فهنا نهىٰ أن يطرىٰ عليه الصلاة والسلام كما حصل أن النصارىٰ أطرت، فهو تمثيل للحدث بالحدث، لأجل أن النصارىٰ أطرت ابن مريم فقادهم ذلك إلىٰ الكفر والشرك بالله وادعاء أنه ولد لله جل وعلا، ولهذا قال (**إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله**).



فإذن الكاف هنا ليست كاف التمثيل الكامل بأن يكون ما بعدها مماثل لما قبلها تماما؛ يعني في الوصف، وإنما هي كاف التمثيل الذي يكون ما بعده مشترك مع ما قبله في المعنى، وهي القياسية التي تجمعها العلة وهي ما سيسببه من الشرك .

والأمة في أكثر من طوائفها خالفت ذلك وأطرت النبي ﷺ إطراءً حتى بلغ أن جعلوا من علومه علم اللوح والقلم، وأن جعلوا من جوده الدنيا وضرتها، وأن جعلوا له من الملك نصيب عليه الصلاة والسلام وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

❁ ما هو الكمال في حقه عليه الصلاة والسلام ؟

أرشدهم بقوله **(إنما عبد فقولوا عبد الله ورسوله)** وهذا هو الكمال في حقه عليه الصلاة والسلام وأن يكون رسولا، هذا أشرف مقاماته عليه الصلاة والسلام.

❁ماذا يستفاد من قوله : (فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) ؟

أن من قبلنا إنما أهلكهم الغلو؛ أهلكهم من جهة الدين وأهلكهم أيضا من جهة الدنيا فالغلو سبب لكل شر والاقتصاد سبب في كل فلاح وخير،

أن الغلو منهي عنه بجميع صوره في الأقوال والأعمال، أقوال القلب وأعمال القلوب، وكذلك أقوال اللسان وأعمال الجوارح فالغلو سبب للهلاك هلاك العبد في دينه ودنياه.



❁ عن ابن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «**هلك المتنطعون**». قالها ثلاثا . **من هم المتنطعون ؟ وما هو التنطع ؟**

يعني الذين تنطعوا فيما يأتون به -في أفعالهم أو أقوالهم-، وهم الذين جاوزوا الحد في ذلك، وابتغوا علم شيء أو تكلفوا شيئا لم يأذن به الله، فزادوا عما أذن لهم فأتوا بأشياء لم يؤذن لهم فيها.

و التنطع والإطراء والغلو متقاربة يجمعها الغلو؛ الغلو يشمل الإطراء ويشمل التنطع، فكل تنطع وكل إطراء غلو، والغلو اسم جامع لهذه جميعا.

❁ما هو مقصود المؤلف رحمه الله من الباب ؟

فالشيخ رحمه الله في هذا الباب بيّن أن سبب كفر بني آدم وسبب تركهم دينهم هو الغلو في الصالحين بأن جاوزوا الحد فيهم. جاوز قوم نوح الحد في الصالحين فيهم فعكفوا على قبورهم وألهوها فصارت آلهة.

والنصارى غلت في رسولهم عيسى عليه السلام وفي الحواريين وفي البطارقة حتى جعلوهم آلهة مع الله جل وعلا يستغيثون بهم ويؤلهونهم ويسألونهم ويعبدونهم.

وكذلك في هذه الأمة جعل للنبي عليه الصلاة والسلام نصيب من خصائص الإله وهذا هو عين ما نهى عنه عليه الصلاة والسلام بقوله (**لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن ريم إنما عبد فقولوا عبد الله ورسوله**).

أسئلة الدرس

س/ بعض أصحاب السيارات الخاصة [كالليموزين] وسيارات النقل الكبيرة يضعون على أطراف السيارة خرقا سوداء اعتقادا منهم بأنها حروز تمنعهم الحوادث، فهل نقوم بنزعها أم ماذا نفعل ؟

ج/ إذا كان الأمر كما وصفه السائل من جهة وضع تلك الشارات أو الخرق ومن جهة اعتقاد أهلها فيها فيجب نزعها، ومن نزعها فله فضل نزع التمائم من أماكنها، أو تخليص أصحابها منها؛ لكن هذا متوقف على أن يعلم أنهم وضعوها لهذا الغرض، فإن وضع الشارات لمثل هذا الغرض غير معروف أنه لأجل دفع التمائم، فإذا كان بعض الناس يستعملها لدفع الشر ويستعملها لأنها تمائم، فهذه يجب نزعها، ومن رآها لا يحل له أن يتعداها حتى ينزعها لأنها اعتقاد في غير الله ولأنها نوع من أنواع المنكر واعتقاد ذلك فيها كبيرة من الكبائر وشرك أصغر بالله جل وعلا.

س/ كيف نخرّج قول النبي ﷺ «لولا أنا لكان عمي في الدرك الأسفل من النار»؟

ج/ قول القائل: لولا فلان لكان كذا. مُنع منه وصار شركا لفظيا ونوع تشريك؛ لأنه نسبة للنعمة لغير الله جل وعلا، يقول: لولا فلان لأصابني كذا، ولولا فلان أنه كان جيدا معي لكان حصل لي كذا وكذا، أو لو لا السيارة أنها قوية لكان هلكت، أو لو لا كذا لكان كذا. مما فيه تعليق دفع النقم أو حصول النعم لأحد من المخلوقين.



والواجب على العباد أن ينسبوا النعم إلى الله عز وجل؛ لأنه هو الذي يسدي النعم، قال جل وعلا في سورة النعم ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[النحل:٥٣] و قال جل وعلا أيضا في السورة نفسها ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾[النحل:٨٣]، فالواجب على العبد المسلم أن ينسب النعم إسداءً وتفضيلا وإنعاما لله جل وعلا، وأن يتعلق قلبه بالذي جعل تلك النعم تصل إليه، والناس أو الخلق و الأسباب إنما هي فضل من الله جل وعلا جعلها أسبابا، ففلان من الناس جعله الله سببا لكي يصل إليك النفع عن طريقه، أما النافع في الحقيقة فهو الله جل وعلا، إذا اندفعت عنك نعمة فالذي دفعها هو الله جل وعلا بواسطة سبب ذلك المخلوق -إما آدمي وإما غير آدمي-، فيجب نسبة النعم إلى الله جل وعلا، فلا تنسب نعمة لغيره سبحانه، ومن نسبها لغيره سبحانه فهو داخل في قول الله جل وعلا (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا).

وأما الحديث الذي في الصحيح من أن النبي ﷺ سئل: هل نفعت عمك أبا طالب بشيء؟ قال« **هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان من في الدرك الأسفل من النار**»، قوله عليه الصلاة والسلام (**لولا أنا**) هذا فيه ذكر لعمله عليه الصلاة والسلام، وافترق عن قول القائل لولا فلان لحصل كذا من جهتين:

الجهة الأولى: أن ذلك القائل هو الذي حصلت له النعمة أو اندفعت عنه النقمة، والنبي ﷺ هنا يخبر عن صنيعه بعمه وأنّ عمه اندفعت عنه النقمة، فذاك في المتحدث الذي تعلق قلبه بالذي



نفعه أو دفع عنه الضر، وأما قول النبي ﷺ فهو إخبار عن نفعه لغيره، فليس فيه تعلق للقلب في اندفاع النقمة أو حصول النعمة بغير الله جل وعلا، هذا وجه.

فيكون إذن معنى ذلك أن الوجه الذي نهى عنه للعلة التي من أجلها نهى عن قول (لولا أنا)، أن يكون فيها نسبة النعمة إلى غير الله من جهة تعلق القلب بذلك الذي حصّل له النعمة، وهذا غير وارد في قول النبي عليه الصلاة والسلام **(لولا أنا لكان من الدرك الأسفل من النار)** لأنه عليه الصلاة والسلام ليس هو الذي حصلت له النعمة إنما هو مخبر عن فعله لعمه.

الوجه الثاني في ذلك: أن النبي عليه الصلاة والسلام قد بيَّن أن نفعه لعمه من جهة الشفاعة، فهو يشفع لعمه حتى يكون في ضحضاح من النار، فقوله **(لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)** يعني لولا شفاعتي. ومعلوم بنصوص الشرع أنه عليه الصلاة والسلام يُكرم بالشفاعة ويعطي الشفاعة، فهو سائل وهو سبب من الأسباب، والمتفضل حقيقة هو الله جل وعلا، فكأنه قال عليه الصلاة والسلام بضميمة علمنا أنه يشفع لعمه كأنه قال: لولا أن الله شفعني فيه لكان في الدرك الأسفل من النار.

فليس فيه بالوجهين جميعا تعليق للقلب بغير الله جل وعلا في حصول النعم أو اندفاع النقم، ممّا يكون في قول القائل: لولا فلان لحصل كذا أو لولا السيارة لحصل كذا أو لولا الطيار لحصل كذا أو لولا البيت كان مُحَصّناً لحصل كذا، ونحو ذلك مما فيه تعلق قلب من حصلت له النعمة بالمخلوقين. - والله أعلم -.



باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

❁ ما مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد؟، وما صورة المسألة فيه؟.

هذا الباب مع الأبواب التي بعده: في بيان أن النبي ﷺ كان حريصاً على هذه الأمة، وكان بالمؤمنين رؤوفا رحيما، ومِن تمام حرصه على الأمة، أنْ حذَّرهم كل وسيلة من وسائل الشرك التي تصل بهم إليه، وسد جميع الذرائع الموصلة إلى الشرك كذلك، وغلَّظ في ذلك، وشدّدَ فيه، وأبدى وأعاد، حتى إنه بيّن ذلك خشية أن يفوته تأكيده وهو في النزع، وهو يعاني سكرات الموت ﷺ.

فهذه الأبواب في بيان وسائل الشرك الأكبر: وأن الشرك الأكبر له وسائل وذرائع يجب سدها ومنعها، رعاية وحماية للتوحيد؛ ولأن النبي ﷺ غلّظ فيمن يفعلون شيئاً من تلك الوسائل أو الذرائع الموصلة إلى الشرك.

وصورة المسألة في الباب: أن يأتي إلى قبر رجل صالح، فيتحرّى ذلك المكان لكي يعبد الله وحده دون ما سواه فيه، رجاء بركة هذه البقعة، وهذا يروج عند كثيرين: في أنّ ما حول قبور الصالحين مبارك، وأن العبادة عندها ليست كالعبادة عند غيرها.

والنبي ﷺ غلّظ في ذلك: مع أن المغلَّظ عليه لم يعبد إلا الله جل وعلا، ولم يعبد صاحب القبر؛ لكنه اتخذ ذلك المكان رجاء بركته، ورجاء تنزل الرحمات -كما يقولون-، ورجاء تنزل النسمات والفضل من الله عليه، واختاره لأجل بركته؛ ولكنه لم يعبد إلا الله جل وعلا، ومع ذلك: لعن النبي ﷺ ذلك الصِّنف الذين يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.



فهذا التغليظ واللعن: لمن اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، ومَن أسرج على القبور، أو مَن عظَّم القبور، وعظم مَن فيها، وعبد الله جل وعلا وحده عندها؛ فقد جاء فيه اللعن، وجاء فيه أنه من شرار الخلق عند الله، فكيف إذا توجّه ذلك العابد، إلى صاحب القبر يدعوه، أو يرجوه، أو يخافه، أو يستغيث به، أو يصلي له، أو يذبح له، أو يستشفع به؟.

لاشك أن هذا أعظم وأعظم في التغليظ من عبادة الله وحده عند قبر رجل صالح.

لهذا وجه الشيخ رحمه الله: إلى أنه مَن تأمل هذه الأحاديث التي سترد، فإنه سيجد أن التغليظ يكون أشد وأشد إذا عُبد صاحب ذلك القبر، فأولئك شرار الخلق عند الله، مع أنهم فعلوا وسائل الشرك ووسائل المحرمات، فكيف بمن فعل الشرك الأكبر بعينه، وتوجه إلى قبور الصالحين واتخذها أوثانا مع الله جل وعلا؟ لاشك أن هذا أبلغ وأبلغ في التغليظ؛ وذلك لأنه مِن الشرك الأكبر المخرج من ملة الإسلام إذا فعله صاحبه.

قال: (فكيف إذا عَبَدَهُ؟)، يعني: عَبَدَ القبر، أو عبد الرجل؛ لأن عبادة القبوريين تارة تتوجه إلى القبر، وتارة تتوجه إلى صاحب القبر؛ بل وتارة تتوجه إلى ما حول القبر، من الأبنية المحيطة بقبور الأولياء عندهم، والتي بنيت على القبور، وصارت مشاهد، تارة تتخذ تلك الستور الحديدية أنها آلهة، فإذا تمسحوا بها رجوا منها البركة واتخذوها وسيلة إلى الله جل وعلا، ويعكفون عندها، فيتخذون تلك المشاهد أوثانا يعبدونها ويرجونها ويخافونها، وإذا ضَمَّ أحدُهم إلى صدره تلك المشاهد أو الحديد أو الستور ونحو ذلك فكأنه صار مقرّبا عند الله، وقبلت وسيلته تلك، وهذا نوع من أنواع اتخاذ المشاهد أوثانا.



وقد علمنا أن العبادة معناها واسع: وأنه قد تكون بالصلاة له، أو بدعوته، أو بسؤاله، أو بطلبه أن يكشف المدلهمات، أو جلب الخيرات، أو الذبح له، أو وضع النذور عنده، ونحو ذلك من أنواع العبادة، وهذا هو الواقع عند أولئك الذين يعبدون الأوثان وقبور الصالحين.

❁ ذكرت أم سلمة رضي الله عنها كَنِيسَةً رَأَتْهَا بِأرض الْحَبَشَةِ، وما فيها من الصور، فقال ﷺ: «أُولَئِك، إِذَا مات فِيهِمُ الرّجُلُ الصّالِحُ أو العبد الصالح، بَنَوْا عَلَىَ قَبْرِهِ مَسْجِداً، وَصَوّرُوا فِيهِ تِلْكَ الصّوَرَ أُولَئِكِ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله»، فما دلالة ذلك الحديث؟.

قوله ﷺ: (**إِذَا مات فِيهِمُ الرّجُلُ الصّالِحُ**)، قد يكون نبيا من أنبيائهم، أو عبداً مِن عباد الله الصالحين فيهم، (**بَنَوْا عَلَىَ قَبْرِهِ مَسْجِداً**)، والمسجد هو مكان العبادة في اللغة، فيدخل فيه الكنيسة من جهة اللغة.

فمكان العبادة يقال له مسجد: والمسجد مكان السجود، والسجود هو الخضوع والتذلل لله جل وعلا، فالمسجد يطلق على كل مكان يتخذ لعبادة الله جل وعلا، كما قال النبي ﷺ «**وجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً**» فمكان العبادة يقال له مسجد.

فعبر النبي ﷺ هنا عن الكنيسة بقوله (**بَنَوْا عَلَىَ قَبْرِهِ مَسْجِداً**) يعني مكان للعبادة.

فالكنائس بُنيت على قبور أولئك الصالحين: وصوروا فيها الصور، فجعلوا صورة ذلك العبد على قبره، أو فوق قبره على الحائط؛ لكي يدلوا الناس على عبادة الله بتعظيم ذلك الرجل الصالح وتعظيم قبره، فاتخذوا البناء على القبور، وهو وسيلة من وسائل الشرك الأكبر، ومن البدع التي يحدثها الخلوف بعد الأنبياء، باتخاذ الصور فوق القبور والتعبد فيها.

قال ﷺ: (**أُولَئِك شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ الله جل وعلا**)، وهم الذين عظّموا الصالحين، فبنوا على قبورهم مساجد، وليس في هذا الحديث أنهم توجهوا بالعبادة لأولئك الصالحين؛ إنما عظموا

قبور الصالحين، وجعلوا لهم صورا، فجمعوا بين فتنتين، فتنة القبور، وفتنة الصور، وفتنة الصور وسيلة من وسائل حدوث الشرك الأكبر، وكذلك فتنة القبور بالبناء عليها، وتعظيمها، وإرشاد الناس لها، هذا كله يعد وسيلة إلى أن يعتقد الناس في صاحب القبر أن له شيئا من خصائص الإلهية، أو أنه يتوسط عند الله جل وعلا في الحاجات، كما حصل ذلك فعلا.

فقال المصنف الإمام رحمه الله: (فهؤلاء جمعوا بين فتنتين، فتنة القبور وفتنة التماثيل)، وهذا هو الواقع، وهذا التغليظ في أنهم شرار الخلق عند الله، ونفهم من هذا التحذير، تحذير هذه الأمة أن يبنوا على قبر أحدٍ مسجدا؛ فإن من بنى ذلك القب، أو دل الخلق على تعظيمه، فإنه يكون من شرار الخلق عند الله، وقد قال ﷺ: «**لتتبعُن سَنن مَن كان قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع**».

ووجه الدلالة من هذا الحديث: قوله ﷺ: (أُولَئِكِ شِرَارُ الْخُلْقِ عِنْدَ الله) وهذا تغليظ فيمن عبد الله في الكنيسة التي فيها القبور والصور، فإن القبور والصور من وسائل الشرك بالله.

❁ ما دلالة قول عائشة رضي الله عنها: (لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خُمِيصَةً لَهُ عَلَى وَجْهِهِ، فَإِذَا اغْتَمّ بها كشَفَهَا فقال وهو كذلك: «لَعْنَةُ اللهُ على الْيَهُودَ وَالنّصَارَى، اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»)؟، وما صور اتخاذ القبور مساجد؟، وما مناسبة إيراد الحديث للباب؟.

هذا الحديث من أعظم الأحاديث التي فيها التغليظ في وسائل الشرك، وبناء المساجد على القبور، واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

ووجه ذلك: أنه عليه ﷺ وهو في ذلك الغم، وتلك الشدة، ونزول سكرات الموت به ﷺ يعانيها، لم يغفل ﷺ؛ بل اهتمَّ اهتماما عظيماً وهو في تلك الحال بتحذير الأمة من وسيلة من

وسائل الشرك، وتوجيه اللعن والدعاء على اليهود والنصارى بلعنة الله لهم؛ لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد.

وسبب ذلك: أنه ﷺ وهو في تلك الحال، كان يخشى أن يُتخذ قبره مسجداً، كما اتُّخذت قبور الأنبياء من قبله مساجد، فقال (**لَعْنَةُ اللهُ على الْيَهُودَ وَالنَّصَارىَ**).

واللعنة هي الطرد والإبعاد من رحمة الله: وذلك يدل على أنهم فعلوا كبيرة من كبائر الذنوب؛ فإن البناء على القبور واتخاذ قبور الأنبياء مساجد هذا من وسائل الشرك، وهو كبيرة من الكبائر.

قال ﷺ: (**اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)، فسبب اللعن أنهم اتخذوا قبور الأنبياء مساجد، والنبي ﷺ يلعن ويحذر وهو في ذلك الموقف العصيب، فقام ذلك مقام آخر وصية أوصى بها ﷺ، ألّا تُتخذ القبور مساجد، فخالف كثير من الناس في هذه الأمة وصيته ﷺ.

واتخاذ القبور مساجد يكون على أحد ثلاثة صور:

الصورة الأولى: أن يسجد على القبر؛ بأن يجعل القبر مكان سجوده، وهذه الصورة في الواقع لم تحصل بانتشار؛ لأن قبور الأنبياء في اليهود والنصارى لم تكن مباشِرة للناس، بحيث يمكن أن يصلوا على القبر أو أن يسجدوا عليه؛ بل كانوا يعظمون قبور أنبيائهم، فلا يصَلُّون عليها مباشرة؛ لكن قوله ﷺ: (**اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)، أبلغ صورة في أن يتخذ القبر نفسه مسجدا، يعني يصلي عليه مباشرة، وهذه أفظع تلك الأنواع، وهي التي تدل على أعظم وسيلة من وسائل الشرك والغلو بالقبر.

الصورة الثانية: أن يصلي إلى القبر، أن يتخذ القبر مسجدا؛ يعني: أن يكون أمام القبر يصلي إليه، فإنه اتخذ القبر -وما حوله مكانا للتذلل والخضوع، والمسجد لا يُعنى به مكان السجود



الذي هو وضع الجبهة على الأرض فقط، وإنما يعنى به مكان التذلل والخضوع، فاتخذوا قبورهم مساجد، يعني: جعلوها قبلة لهم، ولهذا نهى النبي ﷺ أن يُصلى إلى القبر؛ لأجل أن الصلاة إليه وسيلة من وسائل التعظيم، وهذا يوافق قول الشيخ رحمه الله في الباب: (**باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح**)، فقوله (**عند قبر**) نفهم من هذه الصورة، أن يكون أمامه القبر، فيجعل القبر بينه وبين القبلة تعظيما له.

الصورة الثالثة: أن يتخذ القبر مسجدا، بأن يجعل القبر في داخل بناء، وذلك البناء هو المسجد، فإذا دُفن النبي قام أولئك بالبناء عليه، فجعلوا حول قبره مسجداً، واتخذوا ذلك المكان للتعبد وللصلاة فيه، فهذه هي الصورة الثالثة، وهي أيضا موافقة لقول الشيخ رحمه الله: (**عند قبر رجل صالح**)، وهذا يبين لك بعض المناسبة في إيراد هذا الحديث تحت الباب.

قالت عائشة: (**يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا**) يعني: يحذر الصحابة من ذلك، وقد قبل الصحابة رضوان الله عليهم تحذيره وعملوا بوصيته.

ثم قالت: (**وَلَوْلاَ ذَلِكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ**)، يعني: أُظهر، وجُعل قبره مع سائر القبور في البقيع أو نحو ذلك؛ ولكن كان من العلل التي جعلتهم لا ينقلونه ﷺ من مكانه الذي يُتوفى فيه، هو قوله هنا عليه الصلاة والسلام: «**لَعْنَةُ اللهِ على الْيَهُودَ وَالنّصَارىَ. اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، فهذه أحد العلتين.

والعلة الثانية: قول أبي بكر رضي الله عنه إنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إنّ الأنبياء يُقبرون حيث يُقبضون**».

قالت (**غَيْرَ أَنّهُ خَشِي**) يعني عليه الصلاة والسلام، أو (**خُشي**)، يعني: خشي الصحابة أن يتخذ قبره مسجداً، وهذا تنبيه على إحدى العلتين.

ولقد وفق الله المسلمون: وعملوا بوصيته ﷺ، وأُبعد قبره تماما، فلا يمكن أن يصل أحد إلى القبر، ولا يمكن أيضا أن يُتخذ ذلك القبر مسجدا.

فإذن تبين أن قبر النبي ﷺ لم يُتخذ مسجدا: وإنما دخلت الغرف في التوسعة في عهد التابعين في المسجد؛ ولكن جهتُها الشرقية خارجة عن المسجد، فصارت كالشيء الذي دخل في المسجد؛ ولكن حيطان متعددة تمنع أن يكون القبر في داخل مسجد النبي ﷺ، وإنما أربع جدارات تفصل بين المسجد وبين قبر النبي ﷺ.

وأعظم من ذلك: أنهم أخذوا من الروضة الشريفة قدر ثلاثة أمتار لكي يقوم الجدار الثاني، ثم يقوم الجدار الثالث، ثم يقوم السور الحديدي، فهذا من أعظم التطبيب؛ لأجل أن يُحمىٰ قبر النبي ﷺ مِن أن يُتخذ مسجدا، وهذا ولا شك من أعظم الفقه فيمن فعل ذلك، ومِن رحمة الله جل وعلا في هذه الأمة، ومِن إجابة دعوة النبي ﷺ بقوله فيما سيأتي بعد هذا الباب: «**اللهم لا تجعل قبري وثنا يُعبد**».

والمقصود من هذا البيان المهم الذي ينبغي أن تعيه جيدا: أن قبر النبي ﷺ ما أُتُخذ مسجدا، وأن وصيته ﷺ من التحذير قد أتخذ بها في مسجده وفي قبره؛ ولكن خالفتها الأمة في قبور الصالحين من هذه الأمة، فاتخذوا قبور بعض آل البيت مساجد، وعظموها، كما تُعظم الأوثان.

❁ ما وجه الدلالة في حديث النبي ﷺ (أَلاَ وَإِنّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ، أَلاَ فَلاَ تَتّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فَإِنّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ)؟، وما مناسبته للباب؟.

هذا هو الذي وقع في هذه الأمة، وهو وسيلة من وسائل الشرك.

والذريعة التي توصل إلى محرم يجب سدُّها: لأن الشريعة جاءت بسد ذرائع الصول إلى المحرمات، فيجب أن يُغلق كل باب من أبواب الشرك بالله، ومن ذلك اتخاذ قبور الأنبياء

والصالحين مساجد، **ولهذا**: لا تصح الصلاة في مسجد بُني على قبر؛ لأن ذلك منافٍ لنهي النبي ﷺ، والنهي توجَّه إلى بقعة الصلاة فبطلت الصلاة، فالذي يصلي في مسجد أقيم على قبر صلاته باطلة لا تصح.

ومناسبة الحديث للباب ظاهرة: في تحريم اتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد، مع أنه قد يكون العابد لا يعبد إلا الله؛ لأنها وسيلة من وسائل الشرك الأكبر، والوسائل تفضي إلى ما بعدها، وقد تقرر في القواعد الشرعية، وأجمع عليها المحققون، أنّ سد الذرائع الموصلة إلى الشرك وإلى المحرمات واجب.

❁ ما الشاهد في قوله ﷺ: «إنّ مِن شرار الناس مَن تدركهم الساعةُ وهم أحياء، والذين يتخذون القبور مساجد»؟.

وجه الشاهد في الحديث: قوله ﷺ: **(والذين يتخذون القبور مساجد)** يعني: أنهم مِن شرار الناس، وذلك لأن اتخاذ القبور مساجد وسيلة من وسائل الشرك بالله جل وعلا.

وقوله ﷺ: **(والذين يتخذون القبور مساجد)** هذا عامٌ، سواء مَن اتخذه بالصلاة عليه، أو بالصلاة إليه، أو بالصلاة عنده، فذلك القصد للصلاة عند القبر يجعل مَن قَصَدَ ذلك من شرار الناس الذين وصفهم النبي ﷺ بذلك.

ومناسبة هذا الحديث للباب ظاهرة: فإنه ذكر أن مِن شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد، والقصد من اتخاذ القبر مسجد أن يُعبد الله عند قبر ذلك الرجل الصالح، فكيف حال الذي توجه إلى النبي ﷺ بالعبادة؟ فالقبر لا يُخلص إليه، والاستغاثة بالنبي ﷺ وتأليهه قد يقع بحسب الاعتقادات، وبحسب المناداة، كما حصل مِن الجاهليين مناداة الملائكة، واتخاذ الملائكة آلهة مع الله جل جلاله، كذلك اتخاذ الأولياء معبودين.



باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله

❁ ما معنى الغلو؟ وكيف يصل لأن يجعل قبور الصالحين أوثاناً تُعبد؟

الغلو هو مجاوزة الحد: وقبور الصالحين وغير الصالحين صفتها في الشرع واحدة، لم يميز الشرع ولم يأتِ دليل في الشريعة بأن قبر الصالح يتميز عن قبر غيره؛ بل الصفة واحدة، وهي: إما أن يكون القبر في ظاهره مسنَّماً، وإما أن يكون مربعاً، وهذه الصورة من حيث الظاهر واحدة.

وقد نهى النبي ﷺ عن الكتابة على القبور، وعن تجصيصها، وعن رفعها؛ وهذا لأجل سد الطرق التي توصل إلى الغلو في قبور الصالحين.

والغلو فيها:

يكون بالكتابة عليها، أو برفعها، أو البناء عليها، أو بأن تُتخذ مساجد.

ويكون الغلو في قبور الصالحين بأن يُجعل القبر وسيلة من الوسائل التي تقرِّب إلى الله جل وعلا، وبجعل القبر، أو مَن في القبر شفيعاً لهم عند الله جل وعلا، فيجعل له حق أن يُنذر له، أو أن يُذبح له، أو أن يستشفع بترابه، اعتقادا بأنه وسيلة عند الله جل وعلا، ونحو ذلك من أنواع الشرك الأكبر بالله تبارك وتعالى.

فالغلو في قبور الصالحين يكون بمجاوزة ما أُذن فيها:

فمن المجاوزة ما هو من الوسائل.

ومن المجاوزة ما هو من اتخاذها أوثانا من دون الله جل وعلا.



ولهذا قال رحمه الله: (باب ما جاء أنّ الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثانا) وقوله: **(يصيرها)** يعني، يجعلها؛ وقد يكون جعل الوسائل للغايات، يعني: أن الغلو صار وسيلة لاتخاذها أوثانا، وقد يكون أن الغلو جعلها وثناً يُعبد مِن دون الله جل وعلا.

وهذا هو الذي حصل، ويُرى في بلاد المسلمين: مِن أن القبور صارت أوثانا تُعبد مِن دون الله لمّا أقيمت عليها المشاهد و القباب، ودُعي الناس إليها، وذُبح لها، وقُبلت النذور لها، وصار يُطاف حولها، ويُعكف عندها، ونحو ذلك من أنواع الشرك الأكبر بالله.

❁ما دلالة قوله ﷺ في الحديث: «اللّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ، اشْتَدّ غَضَبُ اللهِ عَلَىَ قَوْمٍ اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»)؟.

قوله: (اللّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ) هذه استعاذة ودعاء لخوف أنْ يقع ذلك، ولو كان ذلك لا يقع أصلاً، ولا يمكن أن يقع، لما دعا النبي ﷺ بذلك الدعاء العظيم؛ بل دعا أنْ لا يُجعل القبر وثناً يُعبد، كما جعلت قبور غيره من الأنبياء والمرسلين، فإن عدداً مِن قبور الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام اتُّخذت أوثانا تُعبد.

وقوله ﷺ: (اللّهُمّ لاَ تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَناً يُعْبَدُ) معناه: أنّ القبر يمكن أن يكون وثنا يُعبد، ودعا النبي ﷺ بأن لا يكون.

والوسيلة إلى ذلك ما جاء بعد ذلك: قال ﷺ **(اشْتَدّ غَضَبُ اللهِ عَلَىَ قَوْمٍ اتّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)** وهذا هو غلو الوسائل، فاتخاذ قبور الأنبياء مساجد غلو من نوع غلو الوسائل، بأن تصيِّر تلك القبور أوثانا، فالنبي ﷺ في هذا الحديث جمع بين ذِكر الوسيلة والتنفير منها، واشتداد غضب الله على مَن فعلها، وذكر نهاية ما تصل إليه تلك الوسيلة بأصحابها، وهي أن تكون القبور أوثانا تُعبد مِن دون الله جل وعلا.



فهذا الحديث فيه بيان أن القبر يمكن أن يكون وثنا:

والخرافيون يقولون: القبور لا يمكن أن تكون أوثانا، والأوثان هي أوثان الجاهلية وأصنام الجاهلية فقط.

ونقول: إنّ الجاهليين إذا كانوا تعلّقوا بأصنام وأحجار وأشجار، وبغير ذلك من الأشياء، واعتقدوا فيها، ووصلوا فيها إلى الشرك الأكبر، مع أن المبرر العقلي والمبرر النفسي غير قوي فيها، فَلَأَنْ تُتخذ قبور الصالحين والأنبياء والمرسلين أوثانا، أو أن يُتوجه إلى أصحابها بالعبادة ذلك من باب أولى؛ لأن تعلُّق القلوب بالصالحين أولى مِن تعلقها بالأحجار، وتعلُّق القلوب بالأنبياء والمرسلين، أولى من تعلقها بالجن، أو تعلقها بالأشجار أو الأحجار ونحو ذلك.

فسبب الشرك ووسيلته في القبور: أولى وأظهر مِنه في الأصنام ونحو ذلك؛ لأنها جميعا مِن جهة اعتقاد القلب، وأهل العصور التي فشا فيها الشرك: إذا سألتهم يقولون: هذا توسل، وهذا استشفاع، والحال واحدة.

والسبيل الذي جعل تلك القبور أوثانا: هو اتخاذها مساجد، و البناء عليها، والحث على المجيئ إليها، وذكر الكرامات التي تحصل عندها، أو إجابة الدعوات عندها، أو التبرك بها، إلى غير ذلك.

❁ما الشاهد في قول مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾، وأنه كان يلتُّ لهم السويق، فمات، فعكفوا على قبره؟، وما وجه مناسبة الأثر للباب؟.

الشاهد قول مجاهد: (فمات فعكفوا على قبره)؛ لأجل أنه كان ينفعهم بِلَتِّ السويق لهم.

ووجه المناسبة ظاهر: مِن أن صلاح ذلك الرجل جعلهم يغلون في قبره، فعكفوا عليه، والعكوف على القبور يصيرها أوثانا.

والعكوف معناه: لزوم القبر، بتعظيمه، واعتقاد البركة في لزومه، والثواب والنفع ودفع الضُّر.

❁ما وجه الدلالة في قول ابن عباس رضي الله عنهما: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ وَالْمُتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ»؟.

وجه الدلالة من الحديث ظاهر: وهو: أن النبي ﷺ لعن المتخذين على القبور المساجد والسُرُج؛ لأنها وسيلة لتعظيم تلك القبور، ونوع من أنواع الغلو فيها، فقد كانت تُسرج القبور، ويُجعل عليها في الزمن الماضي القناديل، واليوم تجعل عليها الأنوار العظيمة التي تبين أن هذا المكان مقصود، وأنه مطلوب، فهؤلاء ملعونون بلعنة رسول الله ﷺ، فلا يجوز أن تُتخذ السرج على القبور؛ لأن اتخاذ السّرج على القبور مِن نوع الغلو فيها؛ ولأنه يوجِّه الناس إليها، وذلك قد يكون ذريعة لأن تتخذ آلهة وأوثانا مع الله جل وعلا.

باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدِّه كل طريق يوصل إلى الشرك

❁ ما مناسبة الآية: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ للباب؟ وما دلالتها؟

- **هذا الباب من جنس الأبواب قبله**: في حماية ﷺ جناب التوحيد، وفي سدِّه كل طريق يوصل إلى الشرك؛ ولأجل ذلك أتى بقوله تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾**.
- وقوله تعالى: **﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾** يعني: عزيز عليه عَنَتُكم، وأن تكونوا في عنتٍ ومشقة فهذا مما لا يرغب فيه ﷺ، **﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾** فكونه ﷺ عزيز عليه عنت أمته، هذا يؤدي أن يأمرهم بكل خير، وأن ينهاهم عن كل شر، وأن يحمي حمىً ما أمرهم به،



وما نهاهم عنه؛ لأن الناس إذا أقدموا على ما نُهوا عنه فإنهم أقدموا على مهلكتهم، وأقدموا على ما فيه عنتهم في الدنيا والآخرة، والنبي ﷺ عزيز عليه عنتهم، عزيز عليه أن يقعوا في وبال فيه مشقة عليهم، لهذا قال بعدها: (**حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ**) لأن هذه وهذه متلازمة، ومِن حرصه علينا ﷺ، ومِن كونه يعز عليه عنتنا، أنْ حَمى حِمى التوحيد، وحمى جناب التوحيد، وسد كل طريق قد نصل بها إلى الشرك، وهذا من وجوه الاستدلال من الآية على الباب.

❁ما وجه الدلالة في قوله ﷺ: (لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً)؟، وما معناه؟.

قوله ﷺ: (**لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيداً**)، **يعني**: مكانا تعودون إليه في وقت معلوم من السنة، أو في أوقات معلومة تعتادون المجيء فيها إلى قبري، فإنّ هذا قد يوصل إلى أن يعظَّم النبي ﷺ كتعظيم الله جل وعلا، فإن اتخاذ القبور عيداً مِن وسائل الشرك، ولهذا قال بعدها: (**وَصَلّوا عَلَيّ فَإِنّ صَلاَتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ**)، وكذلك حديث: «**لا تتخذوا قَبْرِي عِيداً، ولا بُيُوتَكُمْ قُبُوراً**»، هو في معنى ما قبله.

ونهيهم الرجل الذي كان يعتاد المجيء إلى فُرجة كانت عند القبر: لأن اعتياده أن يدعو عند القبر هذا نوع غلو، ونوع وسيلة من وسائل تعظيم القبور واتخاذها عيدا، وهذا من وسائل الشرك، فحمى النبي عليه الصلاة والسلام حمى التوحيد، وَحَمى جنابه، وسد كل طريق توصل إلى الشرك، حتى في قبره ﷺ.

إذا كان كذلك: فمن باب أولى: قبور الصالحين، وقبور الأنبياء والمرسلين غيره ﷺ، فإنهم أولى بذلك؛ لأنه أفضل خلق الله عليه الصلاة والسلام.



باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

❁ ما مناسبة هذا الباب للذي قبله؟، وكيف ترد على من ادعى عصمة هذه الأمة من الوقوع في الشرك الأكبر؟

- كتاب التوحيد إلى هذا الموضع، ذكر فيه الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله مسائل كثيرة من بيان وجوب معرفة التوحيد، والعلم به، والخوف من الشرك، وبيان بعض أفراد التوحيد، وبعض أفراد الشرك الأكبر والأصغر، ثم بين شيئا مما يتعلق بوسائل ذلك، وما يتعلق بالصور المختلفة التي وقعت من هذا الشرك في الأمم قبلنا، وعند الجاهليين، يعني: في الأميين، وفي أهل الكتاب، وكذلك مما وقع في هذه الأمة، ثم ذكر وسائل الشرك التي توصل إليه، وطرقه التي توصل إليه.
- **بعد هذا يأتي احتجاج المشركين والخرافيين**: مِن أنّ هذه الأمة حماها الله جل وعلا من أن تعود إلى عبادة الأوثان، فاستحضر بعد كل ما سبق أنَّ قائلا يقول له: كل هذا صحيح؛ ولكن هذه الأمة عُصمت أن تقع في الشرك الأكبر، وذلك لقول ﷺ «**إِنّ الشّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**» فلما قال ﷺ (**إِنّ الشّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**)، علمنا أن عبادة الشيطان لا تكون في هذه الأمة، وأن الشرك الأكبر لا يكون فيها، هكذا قال الخرافيون.

والجواب على هذا: أن هذا الاحتجاج من الخرافيين في غير موضعه، وفهم ذلك الدليل وذلك الحديث ليس على ذلك النحو.

وجواب ما قالوا: من أن قوله ﷺ (**إِنّ الشّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ**) تقول: **أَيِسَ** الشيطان، والشيطان لا يعلم الغيب، وهو حريص على إغواء بني آدم، فهو أيس بنفسه، لَمّا رأى عز الإسلام ولما رأى ظهور التوحيد على الكفر في جزيرة العرب، فأيس لما رأى ذلك ولكن لم يُؤَيِّسهُ الله جل وعلا، ثم إن في قوله: (**أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلّونَ**)، أن المصلون لاشك أنهم آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر؛ لأن المصلي هو الذي أقام الصلاة، ومَن أقام الصلاة فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وأعظم المنكر الذي سينكره المصلي هو الشرك بالله جل وعلا، فإن الشيطان ييأس أن يعبده من قام بالصلاة على حقيقتها، وأقامها كما أراد الله جل وعلا.

فإذن نقول: هذا الحديث ليس فيه أن عبادة الشيطان لا تكون في هذه الأمة، بل فيه أن الشيطان أيس لما رأى عز الإسلام؛ ولكنه لم يؤيّس، ولهذا لما كان بعد وفاة النبي ﷺ بقليل، وارتدت طائفة من العرب، كان ذلك مِن عبادة الشيطان؛ لأن عبادة الشيطان بطاعته، كما قال جل وعلا ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[يس:٦٠]، وعبادة الشيطان كما في تفسير الآية بطاعته في الأمر والنهي، وطاعته في الشرك بالله، وطاعته في ترك الإيمان وترك لوازمه.

هذا الدليل استحضره الإمام رحمه الله: فصحح ما فهمنا من أن معنى الحديث أن الشيطان أيس بنفسه ولم يُؤَيَّس، وإياسه بنفسه لأجل عدم اطلاعه على علم الغيب، مع حرصه على دعوة الناس إلى عبادة غير الله تبارك وتعالى.

❀ ما دلالة قوله رحمه الله: (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان)؟.

قوله: (باب ما جاء) يعني: من النصوص في الكتاب وفي السنة، **(أنَّ بعض هذه الأمة)**، هذا التبعيض؛ لأن عبادة الأوثان لم تكن من الأمة كلها، وإنما كانت من بعض هذه الأمة، وإلا فلا تزال طائفة من هذه الأمة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم إلى قيام الساعة، فإذن قوله: **(بعض هذه الأمة)**، يعني ذلك البعض المرذول، فنفهم منه أن هناك من يقوم بالاستمساك بالأمر الأول الذي كان عليه الرسول ﷺ وكان عليه صحابته في أمر التوحيد وأمر العبادة والسنن.

والمقصود بقوله: (هذه الأمة)، الظاهر أنها أمة الإجابة، في أنهم يتركون دينهم ويتوجهون إلى الأوثان يعبدونها.

والأوثان جمع وثن: والوثن هو كل شيء توجه إليه الناس بالعبادة، إما بأن يدعوه مع الله جل وعلا، أو أن يستغيثوا به، أو أن يعتقدوا فيه أنه ينفع ويضر بدون إذن الله جل وعلا، أو أنه يُرجى رجاء العبادة، ويُخاف منه كالخوف من الله جل وعلا، خوف السر، ونحو ذلك من الأشياء، فمن اعتقد ذلك في غير الله عز وجل، فذلك الشيء يكون وثناً من الأوثان، وقد يكون راضيا بتلك العبادة، وقد لا يكون راضيا بتلك العبادة.

والفرق بين الأوثان والأصنام: أن الأصنام هي الآلهة التي صورت على شكل صور؛ كأن يُجعل لنبي من الأنبياء صورة ويعبدها الناس، أو يجعل لرجل من الرجال كبوذا ونحوه صورة ويسجد لها الناس ويعبدونها، فهذه هي الأصنام.



أو أن تكون أوثانا: والأوثان هي الأشياء التي تُعبد، قد يكون جدارا، وقد يكون قبرا، وقد يكون رجلا ميّتا، وقد يكون صفة من الصفات يتخذونها معبودة من دون الله، فكل ما توجه إليه العباد بنوع من أنواع العبادة فهو وثن من الأوثان.

❁ما معنى (الْجِبْت)، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾؟، وما وجه مناسبة الآية للباب؟

الْجِبْت: اسم عام لكل ما فيه مخالفة لأمر الله جل وعلا، وأمر رسوله ﷺ في الاعتقاد، وقد يكون الجبت هو السحر: وهذا هو الذي فسَّره به كثير من السلف، وقد يكون الكاهن، وقد يكون الشيء المرذول الذي يضر صاحبه.

وقوله تعالى: (يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ) يعني: يؤمنون بالسحر، ويؤمنون بالباطل وعبادة غير الله جل وعلا، و **(الطَّاغُوتِ)**: مشتق من الطغيان، وهو مجاوزة الحد، فالطاغية هو الذي تجاوز الحد في أمر الدين، بأن جعل ما لله له.

ولهذا: يعرِّف ابن القيم رحمه الله الطاغوت بأنه: (كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود أو متبوع أو مطاع).

قوله: (تجاوز به العبد حده من معبود)؛ يعني: حد ذلك الشيء الذي توجهوا إليه، فتوجهوا إليه بالعبادة، واعتقدوا فيه بعض خصائص الإلهية، فإن ذلك مجاوزة عن الحد الذي جُعل له في الشرع، **(أو متبوع)**، مثل العلماء، أو القادة في أمر الدين، إذا تجاوز الناس بهم حدهم، فصاروا يتبعونهم في كل ما قالوا، وإن أحلُّوا لهم الحرام، وحرموا عليهم الحلال، أو جعلوا لهم السُنة بدعة، أو البدعة سنة، وهم يعلمون أصل الدين، ولكنهم خالفوا لأجل ما قال فلان، فإن هذا قد تُجُوِّز به حدّه، فإن حد المتبوع في الدين أن يكون آمرا بما أمر به الشرع، ناهيا عما نهى عنه



الشرع، فإذا أحل الحرام أو حرّم الحلال فإنه يُعتبر طاغوتا، ومن اتبعه فإنه يكون قد تجاوز به حده، وقد أقرّ بأنه طاغوت واتخذه كذلك.

قوله: (أو مطاع) يعني: من الأمراء، والملوك، والحكام والرؤساء الذين يأمرون بالحرام فيطاعون، ويأمرون بتحريم الحلال فيطاعون في ذلك، مع علم المطيع بما أمر الله جل وعلا به، فهؤلاء اتخذوهم طواغيت لأنهم جاوزوا بهم حدهم، فيدخل في الطاغوت كل هذه الأنواع الذين عُبدوا، والذين اتبعوا، والذين أُطيعوا.

- **ووجه المناسبة من هذه الآية للباب:** أنَّ الإيمان بالجبت والطاغوت حصل ووقع من الذين أوتوا نصيبا من الكتاب -من اليهود والنصارىٰ-، والنبي ﷺ أخبر أن ما وقع في الأمم قبلنا سيقع في هذه الأمة، كما قال في حديث أبي سعيد (لَتتّبعُنّ سَنَنَ من كان قبلَكم حَذْوَ القذة بالقذة، حتّى لو دَخَلوا جُحرَ ضَبّ لَدَخلتُموهُ) فمثَّل بشيء صغير، وهو دخول جحر الضب الذي لا يمكن أن يُفعل، تنبيها علىٰ أن ما هو أعلىٰ من ذلك سيقع من هذه الأمة، كما وقع من الأمم قبلها.

❁ ما الشاهد في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللهِ مَن لَّعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطاغُوتَ﴾[المائدة: ٦٠]؟.

وجه الشاهد من هذه الآية: هو قوله جل وعلا: **(وَعَبَدَ الطَاغُوتَ)**، يعني: من لعنه الله، ومن عبد الطاغوتَ، وعبادة الطاغوت وقعت في أولئك الملعونين، وبما أن ما وقع في الأمم السالفة بخبر النبي ﷺ سيقع في هذه الأمة، فإننا نعلم أن في هذه الأمة من سيعبد الطاغوت كما عبدها أولئك.



وعبادة الطاغوت عامة: يدخل فيها عبادة الأوثان، من عبادة القبور، وتأليه أصحابها، والتوسل بهم إلى الله جل وعلا؛ والاستشفاع بهم، أو طلب الشفاعة منهم، ونحو ذلك من الوسائل الشركية، أو ما هو من الشرك الأكبر، فحصلت عبادة للأوثان من القبور، ومن المشاهد، ومن الأشجار، ومن الأحجار، ونحو ذلك مما اعتقد فيه الجهلة.

❁ ما وجه الدلالة في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾؟، ومَن الذين غلبوا على أمرهم؟.

هذه الجملة بعض آية من قصة أصحاب الكهف: ولما حصل أنْ جعلهم الله جل وعلا آية، بأن لبثوا في كهفهم كل هذه المدة، ثم اطلع عليهم الناس، اعتقدوا فيهم، ولما اعتقدوا فيهم وماتوا، تنازعوا في أمرهم، فمنهم من قال: ابنوا عليهم بنيانا، ومنهم من قال: اجعلوا لهم فناء ودارا وعظِّموا مكانهم، واختلف الناس فيهم في ذلك الزمان.

واختلف المفسرون في: مَن الذين غلبوا على أمرهم؟.

فقال قائلون: هم مُسْلِمُو ذلك الزمان، حصل منهم تعظيم لأصحاب الكهف، وقالوا اتخذوا عليهم مسجدا، تعظيما لهم، ودِلالة للناس عليهم، **فإذا كان هذا القول راجحا**: فإنه من وسائل الشرك بالله، ويؤدي إلى عبادة تلك القبور، والاعتقاد في أصحاب الكهف، وهذا القدر حصل في هذه الأمة.

والقول الثاني: أن **(الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ)** هم المشركون؛ يعني أتباع ذلك الدِّين، لاعتقادهم الجاهلي، ولما في قلوبهم من الشرك والبدع التي خالفوا بها أنبيائهم، قالوا: ابنوا عليهم مسجداً.

والقول الثالث وهو الذي رجحه ابن كثير رحمه الله: ورجَّحه عدد من أهل العلم، أن **(الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ)** هم الكبراء والأمراء، وأصحاب النفوذ فيهم؛ يعني: الذين كانت لهم الغلبة في الأمر، والذي له الغلبة في الأمر هو الذي يملك الأمر والنهي في الناس، فأولئك عظّموا أولئك الصالحين، وقالوا: **(لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)**، وقد حصل هذا في تلك الأمة، وما دام أنه حصل فإنه سيحصل في هذه الأمة؛ لأنه ما من خصلة من الشرك حصلت في الأمم قبلنا إلا وحصلت في هذه الأمة، حتى ادعى بعض هذه الأمة أنه هو الله جل وعلا، وأن الله يحل فيه ونحو ذلك؛ بل قد ادعوا أن روح الإله تتناسخ في أناس معينين، كما هو اعتقاد طوائف من الباطنيين ونحو ذلك.

❁ ما معنى (السَنَن) وما وجه الدلالة في قوله ﷺ (لَتتّبِعُنّ سَنَنَ مَن كان قبلَكم حَذْوَ القذة بالقذة، حتّى لو دَخَلوا جُحرَ ضَبّ لَدَخلتُموهُ).

السَّنَن: هو السبيل والطريق، يعني: لتتبعن سبيل مَن كان قبلكم.

وعلى الضبط الآخر **(لَتتّبِعُنّ سُنن مَن كان قبلكم)**، **السُنن جمع سُنّة**: وهي الطريقة؛ يعني كأنه قال: لتتبعنُّ طرائق مَن كان قبلكم في الدين.

واللام في قوله: (لَتتّبِعُنّ) هي الواقعة في جواب القسم، نفهم من وجودها، أنّ النبي ﷺ أقسم على ذلك؛ فقال مؤكدا، (والله لتتبعن سَنن من كان قبلكم)؛ أقسم ﷺ ليؤكد هذا الأمر تأكيدا عظيما، بأن هذه الأمة ستتبع طريقة وسبيل مَن كان قبلها من الأمم، وهذا تحذير؛ لأن الأمم السالفة إما أن تكون من أهل الكتاب –اليهود والنصارى–، وهؤلاء قد وصفهم الله جل وعلا بأنهم مغضوب عليهم وضالون، فإذا اُتخذت سبيلهم سبيلا في هذه الأمة معنى ذلك أن



هذه الأمة تعرضت للغضب واللعنة، وهذا حصل في هذه الأمة، فإن منهم مَن سلك سبيل اليهود، ومنهم من سلك سبيل النصارىٰ.

ولهذا قال بعض السلف: (مَن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومَن فسد من عُبادنا فيه شبه من النصارىٰ)، لأن اليهود خالفوا علىٰ علم، والنصارىٰ خالفت علىٰ ضلالة، وقد قال جل وعلا ﴿غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:٧]، والمغضوب عليهم هم اليهود، والضالون هم النصارىٰ كما فسرها النبي ﷺ.

قوله ﷺ: **(حذو القذة بالقذة)**، يعني: مِن التساوي، القذة والقذة تكون في السهم، وتكون هذه مساوية لتلك، فإذا نظرت في هذه، ونظرت في هذه، وجدت أنهما متماثلان لا فرق بينهما، وهذا هو الواقع: فإنه قد وقع في هذه الأمة التماثل، ففي هذه الأمة حصل من مثل ما حصل من الأمم قبلنا في أبواب الربوبية، وفي أبواب الألوهية، وفي الأسماء والصفات، وكذلك في العمل، وكذلك في السلوك، وكذلك في أفعال الله جل وعلا، فكل شيء كان فيمن قبلنا وقع في هذه الأمة نسأل الله جل وعلا السلامة والعافية.

❁ ما ووجه الدلالة من هذا الحديث ؟

عماد هذا الباب علىٰ هذا الحديث، مِن أن كل كُفْرٍ وشرك وقع في الأمم السالفة فسيقع في هذه الأمة، فإن الأمم السالفة عبدت الأوثان، وكفرت بالله جل وعلا، فسيقع في هذه الأمة من يعبد الأوثان، ومن يكفر بالله جل وعلا في الربوبية، وفي الإلهية، وفي الأسماء والصفات، وفي أفعال الله جل وعلا، وفي الحكم والتحاكم، وهكذا في أنواع كثيرة مما حصل فيمن قبلنا، حتىٰ في أمور السلوك والبدع؛ بل حتىٰ في أمور الأخلاق والعادات التي قد تتصل بالدين، فإنه سلكت هذه الأمة مسلك الأمم قبلها مخالفةً نهي النبي ﷺ.



❁ ما وجه الدلالة فيما رواه ثوبان ﷺ مِن قول النبي ﷺ (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين)؟.

الأئمة المضلون: هم الذين اتخذهم الناس أئمة، قد يكون من جهة الدين، وقد يكون من جهة الوِلاية -يعني ولاية الحُكم-، والأئمة المضلون يملكون زمام الناس، فيضلون الناس بالبدع والشركيات ويُحسِّنونها لهم، حتى تغدوا في أعينهم حقا، وكذلك أصحاب النفوذ وأصحاب الحُكم، فإنهم إذا كانوا مضلين فإن بيدهم الأمر الذي يجعلهم يَفرضون على الناس أشياء، ويُلزمونهم بأشياء مضادة لشرع محمد ﷺ من أمور العقيدة والتوحيد، ومن أمور السلوك والعمل، ومن أمور الحكم والتحاكم، وهكذا وقع في هذه الأمة، ولقد وقع ما خاف منه ﷺ، فكثر الأئمة المضلون في الأمة، المضِلون من جهة الأتباع، والمضلون من جهة الطاعة.

❁ ما وجه الدلالة في الحديث: (حتى يلحق حيّ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان)؟.

هذا نص صحيح مِن رواية البرقاني في صحيحه: ولكن اللحاق بالمشركين هل هو من جهة ترك بلاد المسلمين والذهاب إلى أرض المشركين؟، أم يلحقوا بالمشركين في الصفات والخصال؟.

يحتمل هذا وهذا: يعني: مِن جهة ترك بلاد الإسلام والذهاب إلى بلاد المشركين رضىً بهم وبدينهم، أو من جهة الصفات، فيشركون كما أشرك المشركون، ويَرتدون على أدبارهم.

وقوله: (حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان) الفئام: هي الجماعات الكبيرة، وهذا ظاهر المناسبة للباب في قول الشيخ رحمه الله في الباب **(باب أن ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان).**

إلى أن قال عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث: (لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي عَلَى الْحَقّ منصورة. لاَ يَضُرّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ. حَتّىَ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهّ تبارك وتعالى)، وهذه الطائفة المنصورة هي التي قال

فيها ﷺ في حديث آخر: «**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقّ**»، وهي التي قال فيها ﷺ: «**وَسَتَفْتَرِقُ هذه الأمَّة عَلَى ثلاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلّهَا فِي النّارِ، إلاّ وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ**».

❁**من هي الطائفة المنصورة؟** هي الفرقة الناجية، وهي الجماعة بجمع أحاديث النبي ﷺ، وسميت منصورة لأن الله جل وعلا نصرها علىٰ مَن ناوأها بالحجة والبيان، نَصّرُها الذي وُعِدَت به، ليس نصرا بالسنان، ولكنه نصر بالحجة والبيان، فهم وإن هُزموا في بعض المعارك، أو أُدينت دولتهم في بعض الأحيان، فهم الظاهرون علىٰ مَن سواهم بالحجة والبيان، وهم المنصورون بما أعطاهم الله جل وعلا من الحجة والنصوص، والصواب والحق علىٰ مَن سواهم، فهم علىٰ الحق وسواهم علىٰ الباطل.

وهذان اللفظان: فرقة ناجية، وطائفة منصورة، اسمان لشيء واحد، وإنما هو من باب تنوع الصفات، فهم موصوفون بالنجاة من النار، وموصوفون بالنصر علىٰ عدوهم بالحجة والبيان، وقد يكون مع ذلك نصر بالسيف والسنان ونحو ذلك.



تمت بحمد الله المرحلة الأولى

من دورة

(شرح كتاب التوحيد)

لفضيلة الشيخ : صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ